

العز بن علي السلام

(سلطان العلماء، وبائع الملوك)

(٥٥٧ - ٦٦٠ هـ)

إعداد:

أنوار الجرف

هذا الرجل

{ شيخ الإسلام والمسلمين وأحد الأئمة الأعلام، سلطان العلماء، إمام عصره بلا مدافعة، القائم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في زمانه المطلع على حقائق الشريعة وغوامضها، العارف بمقاصدها، لم ير مثل نفسه ولا رأى من رآه مثله علماً وورعاً وقياماً في الحق وشجاعة وقوة جنان }

التاج السبكي

{ الشيخ الإمام العلامة وحيد عصره سلطان العلماء. برع في المذهب وفاق فيه الأقران والأضراب وجمع بين فنون العلم من التفسير والحديث والفقه والأصول والعربية واختلاف أقوال الناس وما أخذهم حتى قيل إنه بلغ رتبة الاجتهاد }

ابن قاضي شهبه

{ كان شيخاً للإسلام عالماً ورعاً زاهداً آمراً بالمعروف وناهياً عن المنكر }

الحافظ السيوطي

{ شيخ المذهب ومفيد أهله وله مصنفات حسان... وبرع في المذهب وجمع علوماً كثيرة وأفاد الطلبة ودرس بعدة مدارس، وانتهت إليه رئاسة الشافعية وقصد بالفتاوى من الآفاق... وكان لطيفاً ظريفاً يستشهد بالأشعار }

الحافظ ابن كثير

{ هو الشيخ الإمام المجمع على إمامته وجلالته وتمكنه في أنواع العلوم وبراعته }

الإمام النووي

مقدمة

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون، وبعد:

لم يخلُ عصر من عصور الإسلام من العلماء الدعاة الذين يأخذون بيد الأمة في ظلام الليل البهيم. وعند اشتداد الخطب واضطراب الأمور، يقومون بواجبهم المقدس في أداء الأمانة ونشر العلم، وتقويم الاعوجاج، ومواجهة الظلم، وتصويب الخطأ، وقام العلماء الأفاضل بهذه السنة الحميدة؛ استشعاراً للمسئولية، وتقديراً للأمانة، وإدراكاً لعظم دورهم باعتبارهم طليعة الأمة، ولسان حالها، وروادها. والرائد لا يكذب أهله.

والعز بن عبد السلام، واحد من هؤلاء الرواد الصادقين، لم تشغلهم مؤلفاتهم ووظائفهم عن الجهر بكلمة الحق، وتبصير الناس، ومحاربة البدع، ونصح الحكام، وخوض ميادين الجهاد، حتى طغى هذا النشاط على جهدهم العلمي وهم المبرزون في علومه، واقتربت أسماءهم بمواقفهم لا بمؤلفاتهم، وحمل التاريخ سيرتهم العطرة تسوق إلى الناس جلال الحق وعظمة الموقف، وابتغاء رضى الله، دون نظر إلى سخط حاكم أو تملق محكوم، فهو ينطق بما يعتقد أنه الصواب والحق، غير ملتفت إلى غضب هذا أو رضى ذاك.

في هذه الدراسة سوف نقف عند سيرة هذا العالم الفقيه الجاهد الذي برز في عصر الحروب الصليبية وعاصر الدول الإسلامية المنشقة عن الخلافة العباسية في عصرها الأخير. وكان له دور كبير في زيادة الدعوة لمواجهة الغزو المغولي التتري والوقوف إلى جانب الحكام الذين قادوا المقاومة والحرب الدفاعية ضد الغزاة- والوقوف خاصة بجانب السلطان قطز (المملوكي) الذي قاد قوات السلطان عز الدين أيبك.

إننا في هذا الزمان في أمس الحاجة إلى مثل هذه الدراسات التي ترينا مواقف هؤلاء العلماء الربانيين الذين لولا الله ثم جهودهم لما قامت للدولة الإسلامية قائمة بعد كل تلك الهزائم التي منيت بها بسبب تخاذل حكامها وصراعهم على الدنيا من جهة، وبعد الناس عن الإسلام وغرقهم في الشهوات والحرمات، لعلها تكون تذكرة للعلماء في زماننا ودافعاً لهم للقيام بالدور المطلوب منهم للنهوض بهذه الأمة من سباتها، والعودة بها إلى أيام العز والنصر، ولن يصلح حال آخر الأمة إلا بما صلح به أولها.

السبب في اختيار البحث

- ١- أننا في هذا الزمان أحوج ما نكون لعلماء ربانيين مثل العز بن عبد السلام ومن على شاكلته من العلماء المجاهدين الذي يكون لهم دور في إذكاء الجهاد في نفوس الشعوب خاصة، والخروج بالأمة من أعتى الظروف التي تتعرض لها عبر التاريخ.
- ٢- على الرغم من توفر عدد من الكتب والدراسات التي خصصت للحديث عن سيرة هذا العالم المجاهد إلا أن جوانب كثيرة من سيرته لا تزال غامضة لا بد من البحث عنها والاستفادة منها بأخذ العبر والفوائد من بعض مواقفها.
- ٣- ظهور جماعة من المسلمين ممن يحاولون تقسيم الأمة وعلمائها وتصنيفهم إلى جماعات ومذاهب، ممن رضوا لأنفسهم أن يكونوا قضاة لا دعاة فقاموا بالطعن في هذا والتنقيص من منزلة ذلك، ولم يفهموا أن الخلاف بين العلماء المسلمين أمر طبيعي، وأن كلاً منهم يبحث عن الحق، وله رأيه الذي يجب أن يحترم. وأنه إن كان مخطئاً في بعض المسائل فلن ينقص من مكانته العلمية.

منهجي في البحث

- ١- الاعتماد على المنهج التاريخي بقصد معرفة العصر الذي نشأ فيه الشيخ وأحوال المسلمين في ذلك العصر وربط ذلك بواقعنا المعاصر.
- ٢- الرجوع إلى المقالات الحديثة التي تحدثت عن الشيخ بالإيجاب أو السلب وتفنيد تلك المقالات وبيان خلفيتها قدر الإمكان.
- ٣- الرجوع إلى كتب الشيخ ومؤلفاته لمعرفة طريقته في الكتابة وأسلوبه في التأليف.
- ٤- الرجوع إلى كتب تراجم العلماء التي ذكرت سيرة الشيخ وجهوده العلمية والتربوية.
- ٥- الإحالة إلى تلك المراجع لتوثيق بعض النصوص قدر الإمكان.
- ٦- تخريج الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الواردة في البحث.

خطة البحث

ينقسم البحث إلى مقدمة، وأربعة فصول، وخاتمة تشتمل على أهم النتائج، وأجزؤها فيما يلي:

المقدمة: وتشتمل على:

١. مدخل وجيز لموضوع البحث.
٢. بيان السبب في اختيار البحث.
٣. بيان منهج البحث.
٤. سرد موجز لخطة البحث.

١ - الفصل الأول : الدولة الإسلامية في عصر العز بن عبد السلام: ويشتمل على ثلاثة مباحث:

١:١ المبحث الأول: الخلافة العباسية في عصر العز بن عبد السلام

٢:١ المبحث الثاني: الإمارات الحاكمة في ذلك الوقت:

١ . دولة الأيوبيين

٢ . دولة المماليك

٢ - الفصل الثاني: العز بن عبد السلام في مرحلة النشأة والطلب: وفيه ثلاثة مباحث:

١:٢ المبحث الأول: مولده ونشأته

٢:٢ المبحث الثاني: تكوينه العلمي والتربوي

٣:٢ المبحث الثالث: عقيدته ومذهبه الفقهي

٣ - الفصل الثالث: العز بن عبد السلام في مرحلة العطاء والتدريس: وفيه ثلاثة مباحث:

١:٣ المبحث الأول: الوظائف التي شغلها في الشام

٢:٣ المبحث الثاني: انتقاله إلى مصر

٣:٣ المبحث الثالث: مؤلفاته وجهوده العلمية

٤ - الفصل الرابع: صفاته وجهاده: وفيه ثلاثة مباحث:

١:٤ المبحث الأول: جهاده وقوته في الحق

٢:٤ المبحث الثاني: صفاته الخلقية

٣:٤ المبحث الثالث: وفاته

خاتمة البحث : وتشمل عرضاً لأهم نتائج البحث.

الفصل الأول الدولة الإسلامية في عصر العز بن عبد السلام

تمهيد:

لقد عاش "سلطان العلماء" **العز بن عبد السلام** في عصر مضطرب، هو زمن الضعف والانهيار للدولة العباسية. فقد مني العالم الإسلامي في القرون الثلاثة الخامس والسادس والسابع، بسلسلة من الفتن الداخلية والتي أدت إلى ظهور عدد من الممالك والإمارات المنشقة عن الخلافة العباسية في مختلف البلاد الإسلامية. ونتيجة لهذه الانقسامات في دولة المسلمين تكالب عليها أعداؤها من صليبيين وتار مغول، فاضطرع المسلمون مع بعضهم وضعفت نفوس الكثيرين حتى اتفق أحدهم مع العدو على أخيه، وسكت كثير من العلماء عن الحق، واعتزل كثير منهم الحياة العامة.

في حين قام العز بن عبد السلام بواجب الجهاد دفاعاً عن الإسلام، فأعاد للأذهان صورة مشرقة للعالم العامل المجاهد الداعي إلى الحق، والقائم بأداء الأمانة المناطة بأعناق العلماء.

حال الدولة الإسلامية في عصر العز بن عبد السلام وموقفه من الأحداث في تلك الحقبة هو موضوع هذا الفصل الذي يتألف من المباحث التالية:

- المبحث الأول: الحالة السياسية للدولة الإسلامية في القرنين السادس والسابع الهجريين.
- المبحث الثاني: الإمارات الإسلامية التي عاصرها العز بن عبد السلام.

المبحث الأول الحالة السياسية للدولة الإسلامية في القرن السادس والسابع الهجري

يمكن أن نلخص الحالة السياسية في القرن السادس والقرن السابع الهجري فيما يلي:

أولاً) ضعف الخلافة العباسية :

- 1- استمرت حالة الضعف والوهن الذي دب في الخلافة العباسية. ومع أن خلفاء هذا القرن كانوا في الجملة على درجة لا بأس بها من العدل والتقوى ومحبة الناس لهم، إلا أنه لم يعد للخليفة السيطرة التامة على البلاد الإسلامية، بل كانت السيطرة لسلاطين الدويلات أو الإمارات الإسلامية كإمارة السلاجقة والأيوبيين والمماليك والغزنويين والحوارزميين والغوريين والعباسيين، إضافة إلى دولة المرابطين ودولة الموحيدين اللتين حكمتا المغرب.
- 2- وكانت أكثر الإمارات تدين بالولاء للخليفة العباسي وتخطب باسمه كدولة السلاجقة وآل زنكي والأيوبيين والمرابطين، بينما كانت بعض الإمارات تعد نفسها دولة مستقلة ولا تعترف بسلطة الخليفة العباسي عليها كدولة الموحيدين في المغرب، ودولة العبيديين في مصر.

ثانياً) الحروب والخلافات الداخلية:

- 1- شهد هذان القرنان موجات من النزاع المتكرر بين الخليفة وهذه الإمارات، مع أن أكثر هذه الإمارات كانت تخطب باسم الخليفة، وتعلن له الولاء.
- 2- كما شهد وقوع كثير من النزاعات و الحروب بين الإمارات الإسلامية، والتي يكون في بعضها طرفا النزاع أخوين أو من أسرة واحدة، كما حدث سنة (٥٨٩) بعد موت صلاح الدين الأيوبي واضطراب الأمور بين أبنائه وبين أخيه العادل وتفرق شملهم.
- 3- إن الخلافات التي حدثت بين المسلمين أنفسهم كان لها أكبر الأثر في انتصار أعدائها من المغول، والقضاء على الخلافة الإسلامية.
- 4- وفي القرن السابع زاد الضعف في الخلافة العباسية بتولي خليفة قببح السيرة في رعيته ظلماً لهم، هو (الناصر لدين الله) فخرّب في أيامه العراق، وتفرق أهله في البلاد، فأخذ أموالهم وأملأهم. مما جعل بغداد بعد وفاته لقمة سائغة للمغول حتى سقطت على يد هولاكو عام ٦٥٦هـ، وانتهت بذلك الخلافة العباسية.

ثالثاً) التوتر بين السنة والشيعة :

- ١- لم يزل التوتر قائماً في هذه الفترة بين السنة والشيعة، لكن حدته خفت نسبياً بعد أن كسرت شوكة الشيعة وزالت دولتهم المتعددة كالبويهيين والحمدانيين والسامانيين، وبقيت لهم دولة واحدة سقطت في النصف الثاني من القرن السادس وهي دولة العبيديين في مصر.
- ٢- (دولة العبيديين هذه نشأت في المغرب، ثم توسع ملكهم حتى استولوا على مصر، وسقطت في سنة ٥٦٧ هـ عندما هلك العاضد آخر خلفائهم بعد استيلاء أسد شيركوه وابن أخيه صلاح الدين الأيوبي على مصر، ثم تولى صلاح الدين الحكم بمصر، وأمره بأن تعود الخطبة للخليفة العباسي).
- ٣- كما ظهرت كذلك بأرض الشام فئات أخرى من الشيعة مثل: النصيرية والدرزية والحشيشية، والذين استولى الفرنجة بمساعدتهم على ساحل الشام بكامله حتى أخذوا القدس الشريف.

رابعاً) الأعداء من خارج الدولة الإسلامية :

إن أشد أعداء الدولة الإسلامية في عصر العز بن عبد السلام الصليبيون الزاحفون من الغرب، والتتار الذين زحفوا من الشرق، مستغلين ضعف الدولة العباسية، وكثرة الفتن والانقسامات في الدولة الإسلامية فانقضوا على المسلمين وقادوا الحملة تلو الحملة كلما سنحت لهم الفرصة للاستيلاء على معاقل المسلمين ومدنهم.

١. أما **الصليبيون**: فقد قادوا حملات عسكرية انطلقت في عام ٤٨٩ هـ بدعوة من الكنيسة قام فيها الصليبيون بأبشع أنواع الجرائم البشرية ضد المسلمين، وأطلقوا عليها اسم **الحملة الصليبية**.

استمرت هذه الحملات طوال القرنين السادس والسابع الهجري، وتمثلت في سبع حملات متعاقبة على فترات زمنية، حتى انتهت بانتصار دولة المماليك المسلمة، وخروج الصليبيين من آخر معقل لهم هو عكا سنة ٦٩٠ هـ.

لقد عاصر العز بن عبد السلام الحملات الخمس الأخيرة وكان له دور بارز فيها، خاصة في الحملة السابعة، والتي أفنى خلالها بتحريم التعامل مع الصليبيين وبيع السلاح لهم. فكانت هذه الفتوى سبباً في عزله عن الخطابة واعتقاله، ثم خروجه من الشام مهاجراً إلى مصر.

٢. وأما **المغول التتار**: فقد كانوا قوة لا تقبل في وحشيتها عن الصليبيين، فعلوا في المسلمين ما لم تفعله أمة من الأمم. أما خطرهم فقد بدأ بغزوهم لبلاد المشرق الإسلامي في نهاية القرن السادس الهجري، وسيطرتهم على بلاد ما وراء النهر، وتدميرهم لمدن إسلامية عريقة هناك، ثم استمرار زحفهم حتى وصلهم إلى (بغداد) عاصمة الخلافة العباسية والاستيلاء عليها، وإسقاط الخلافة العباسية سنة ٦٥٦ هـ، وارتكاب أبشع الجرائم فيها، وممارسة أنواع الإبادة والتخريب.

واستمر التتار في هجماتهم واستيلائهم على بلاد المسلمين إلى نهاية القرن السابع الهجري حينما تمكن المسلمون من القضاء عليهم وطردهم، وذلك بعد أن وحدوا كلمتهم وجاهدوا في الله حق الجهاد، تحت قيادة أبطال من أمراء وحكام المسلمين، وبمعاونة مجموعة من العلماء الربانيين - أمثال العز بن عبد السلام - الذي كان له دور بارز في الحث على الجهاد والنفرة في سبيل الله، وأبلى بلاء حسناً في أكثر من موقف في تلك المعارك.

هذه هي حالة الدولة الإسلامية في زمن العز بن عبد السلام، وهذا هو وضع البلاد المسلمة عامة. ولكن من الملاحظ أنه مع كل تلك التحديات والصعوبات التي واجهتها هذه الأمة، إلا أن الله كان يهيئ لها بين الحين والآخر أمراء صالحين وقادة شجعاناً ربانيين يقفون أمام تلك الهجمات بشجاعة، ويحافظوا على حصن الأمة الإسلامية منيعاً قروناً من الزمان، فتحققت فيهم بشارة الرسول صلى الله عليه وسلم: "لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم".

استكمالاً للصورة لا بد من الحديث عن الدولتين الإسلاميتين اللتين حكمتا الشام ومصر في ذلك الزمن وعاصرهما العز بن عبد السلام، وهما دولة الأيوبيين ودولة المماليك.

المبحث الثاني الإمارات الإسلامية التي عاصرها العز بن عبد السلام

لقد عاصر العز بن عبد السلام في نشأته وبداية حياته العملية دولة الأيوبيين في مصر والشام وذلك في فترة ضعفها بعد وفاة صلاح الدين الأيوبي وتنازع أبنائه على الحكم مع عمهم الملك العادل، والذي انتهى بسقوطها. وكان العز معارضاً لكثير من مواقف ملوكها السياسية لأسباب شرعية.

ثم بعد ذلك عاصر دولة المماليك في مصر والشام وذلك في بداية تأسيسها وفي أوج قوتها، وقد كان مؤيداً لها وناصرها خاصة في جهادها ضد الصليبيين والتتار. ولكن تأييده لها لم يكن على إطلاقه وإنما كان مرتبطاً بمدى التزام حكامها بجانب الحق والعدل.

أولاً: دولة الأيوبيين (٥٦٩هـ - ٦٤٨هـ):

- ١- تم تأسيس الدولة الأيوبية على يد **صلاح الدين يوسف بن نجم الدين أيوب** وذلك في عام ٥٦٩هـ. ولقد كان صلاح الدين الأيوبي حسن السيرة قوياً شجاعاً استطاع فور توليه السلطة توحيد الجبهة الإسلامية وتقويتها، ثم مواجهة الصليبيين ومواصلة الجهاد ضدهم لطردهم من أرض المسلمين.
- ٢- لقد كان للأيوبيين بقيادة صلاح الدين الأيوبي دوراً مهماً في محاربة الصليبيين وصد العديد من الحملات الصليبية وإفشالها. ولعل من أبرز جهود هذا القائد البطل محاربه للصليبيين في معركة "**حطين**" المشهورة سنة ٥٨٣هـ والتي انتصر فيها صلاح الدين، وهزم الصليبيين هزيمة نكراء. ثم انطلق على إثر هذا الانتصار نحو المدن الساحلية فاستعادها، وحرر "بيت المقدس"، وعقد صلحاً مع الصليبيين، فعاش المسلمون بعد ذلك في رخاء طوال حياة صلاح الدين.
- ٣- وبعد وفاة صلاح الدين عام ٥٨٩هـ، دبّ الضعف والفرقة بالأيوبيين، مما شجع الصليبيين على شن حملات صليبية أخرى. فقام بعض السلاطين الأيوبيين بالاستنجاد بالصليبيين وتسليمهم المدن الإسلامية، مثل القدس وغيرها لضمان مساعدتهم ضد إخوانهم وأبناء إخوانهم مما أدى إلى ضياع كل ما أحرزه أسلافهم من انتصارات في مقابل ملك الدنيا الزائف.
- ٤- لقد حدثت هذه الخيانات في وجود العز بن عبد السلام الذي لم يستطع السكوت عليها؛ فتصدى للإنكار على السلطان وانسحب مع بعض العلماء الآخرين من الجيش ومعهم عدد كبير من الناس. ثم أفتى العز بتحريم إعانة الصليبيين، وعرض بالسلطان في الخطبة مما أدى إلى عزله عن الخطابة واعتقاله.
- ٥- استمرت الحملات الصليبية على الشام ومصر حتى تمكنت من إضعاف الأيوبيين في الوقت الذي ظهر فيه المماليك بقيادة الظاهر بيبرس وقطر بعد أن كان الملك الصالح نجم الدين أيوب (ملك الأيوبيين في مصر) اعتمد عليهما في تصريف شؤون الدولة والجيش، وشاركوا في صراعه مع الصليبيين.
- ٦- بعد وفاة الملك الصالح تولى الحكم بعده ابنه توران شاه الذي قتل على يد المماليك، وانتهت بذلك الدولة الأيوبية عام ٦٤٨هـ بعد أن صدوا الصليبيين عن بلاد المسلمين وأبلوا بلاء حسناً في حماية مقدسات المسلمين فجزاهم الله عن الأمة خيراً.

ثانياً: دولة المماليك (٦٤٨هـ - ٩٢٣هـ):

- ١- أما عن تأسيس دولة المماليك فقد كان في بداية عام ٦٤٨هـ بعد أن وقع الخلاف بين توران شاه ومماليك والده أيوب، فاجتمع المماليك على توران شاه وقتلوه، ثم ولوا عليهم زوجة أبيه شجر الدر (وهي مملوكية الأصل) التي قامت بتعيين الأمير المملوك عز الدين أيبك قائداً للجيش ونائباً لها، ثم تزوجته وتنازلت له عن الملك، ولقب بالملك المعز.

- ٢- ولما استقر الملك لعز الدين أبيك، بقي في الحكم سبع سنين ثم قتل على يد المماليك، وقرروا أن يتولى الحكم نيابة عنه ابنه المنصور علي بن المعز الذي كان طفلاً صغيراً كثير اللعب **فتولى الأمور نيابة عنه كبير الأمراء سيف الدين قطز**.
- ٣- وخلال فترة المنصور هذا سقطت بغداد عام ٦٥٦هـ، وجاءت الأخبار بزحف التتار إلى الشام ومصر.
- ٤- وأمام هذا الخطر العظيم قام سيف الدين قطز نائب المنصور بجمع العلماء والقضاة لمناقشة الأزمة، ووقع الاتفاق على خلع الملك الصغير المنصور ومبايعة قطز بالملك، فلقّب بالملك المظفر سيف الدين قطز.
- ٥- لقد كان قطز قائداً محنكاً استطاع أن يجمع المماليك ويوحد كلمتهم حتى أصبحوا قوة واحدة هبت لملاقاة أقوى جيش في ذلك الوقت هو جيش المغول في المعركة الشهيرة **"عين جالوت"** عام ٦٥٨هـ.
- ٦- بدأ قطز يمشد الحشود ويجهز الجيش، ويستعين بالعلماء في الحث على الجهاد والنفرة في سبيل الله، وكان على رأس هؤلاء العلماء **الإمام العز بن عبد السلام** الذي أظهر دوراً بارزاً في هذه المعركة وقد كانت له منزلة كبيرة عند المماليك فاستجابوا له عندما أمرهم بتجهيز الجيش من أموالهم بدلاً من فرض الضرائب على الناس. وشاء الله أن ينتصر الجيش الإسلامي ويلحق هزيمة منكرة بالمغول الذين ظنوا أنهم الجيش الذي لا يغلب ثم تبعوهم في باقي مدن الشام حتى خلصوها من أيديهم. وطارت الأخبار بانتصار المسلمين وانكسار التتار، فابتهج المسلمون في الأمصار، وبدأ التتار يفرون من بلاد الشام خوفاً من انتقام المسلمين.
- ٧- بعد معركة عين جالوت قتل قطز وتولى الحكم **الظاهر بيبرس** الذي قام بأمر هام وهو إعادة الخلافة للمسلمين، بإعادة المستنصر بالله أحمد عم المستعصم بالله الذي قدم إلى مصر بعد أن كان معتقلاً في بغداد، فبايعوه في رجب سنة ٦٥٩هـ، وعم الفرح بلاد الإسلام بعودة الخلافة رمز الوحدة الإسلامية بعد أن ظل المسلمون ثلاث سنوات ونصف بلا خليفة.
- ٨- استمر حكم المماليك حتى دب الخلاف في آخر عهدها وسقطت على يد العثمانيين في القرن العاشر الهجري.
- ٩- هذا هو العصر الذي عاش فيه العز بن عبد السلام وهاتان هما الدولتان اللتان عاصرهما، وهذا هو حال الأمة في زمانه. ولقد كان العز بن عبد السلام في حياته مثلاً للعالم المجاهد الذي يتصرف حسب الوقائع والأحوال؛ فلم يأخذ موقفاً واحداً من الحكومات التي حكمت المسلمين في ذلك الوقت، وإنما اختلفت مواقفه حسب الأحداث؛ فعندما يجد مخالفاً شرعية وخيانة بالمسلمين يعلن البراءة من تلك الأفعال ويدعو إلى العودة إلى الله، وعندما يرى من الحاكم وقوفاً عند حدود الله وشرعه يكون مثلاً للرجل المطيع لإمامه، وعندما يدعو الداعي إلى الجهاد يكون في أول الجيش محرصاً وداعياً ومجاهداً. هكذا كان العز بن عبد السلام وهكذا كانت سياسته مثل أي عالم رباني يزن الأمور بميزان الشرع ولا يخاف في الله لومة لائم.

الفصل الثاني

العز بن عبد السلام

(في مرحلة النشأة والطلب)

تمهيد:

يعد العز بن عبد السلام -رحمه الله تعالى- أحد كبار مشاهير أعلام الأمة من العلماء العاملين النجباء، الذين نذروا أنفسهم للجهر بكلمة الحق، وتحملوا في سبيل ذلك العنت الكبير، ولكنهم مع كل ما أصابهم رفضوا أن يهادنوا أو يساوموا على موقفهم، وقد بذلت الدنيا أمامهم بكل ما فيها من جاه ومال وسلطان، إلا أن ذلك كله لم يعدل عندهم جناح بعوضة ليستحق أن يحولهم عما يعتقدون أنه الحق.

ولم يعنى السابقون ولا المعاصرون من الكتاب بإفراد العز بن عبد السلام بترجمة مستقلة، ولكنهم ذكروه في ثنايا كتب الفقهاء والأعلام، وفي كتب التاريخ العام وكتب تواريخ البلدان. لذلك فإن معرفة تفاصيل حياته لم تكن بالأمر اليسير خاصة في فترة نشأته وطلبه للعلم.

من أهم مصادر ترجمته: "طبقات الشافعية الكبرى" للسبكي، "وذيل مرآة الزمان" لليونيني، و"طبقات الشافعية" لابن قاضي شهبه، و"الوافي بالوفيات" للصفدي، و"البداية والنهاية" لابن كثير.

يشتمل هذا الفصل على جوانب من حياة العز بن عبد السلام في مرحلة النشأة وطلب العلم.

- المبحث الأول: أصله ومولده ونشأته
- المبحث الثاني: تكوينه العلمي والتربوي.
- المبحث الثالث: مذهبه الفقهي وعقيدته

المبحث الأول أصله ومولده ونشأته

أولاً: أصله ونسبه :

- هو أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن بن محمد بن مهذب السلمي المغربي الأصل، دمشقي المولد، مصري الوفاة، شافعي المذهب.

ثانياً: شهرته وألقابه:

- اشتهر باسم العزّ بن عبد السلام.
- ولقب (بسلطان العلماء)، و(بائع الأمراء).

ثالثاً: مولده:

- ولد العز بن عبد السلام في دمشق سنة (٥٧٧ هـ) وقيل (٥٧٨ هـ).

رابعاً: نشأته:

- لقد فتح العز بن عبد السلام عينيه على حياة الحرمان، حيث كان أبوه عبد السلام فقيراً جهد الفقر، وكان يجوب الأسواق بحثاً عن عمل. وحين شب الطفل صحبه أبوه ليساعده في بعض الأعمال الشاقة كإصلاح الطرق وحمل الأمتعة، وتنظيف أمام محلات التجار. ولكن لم يستمر هذا الحال طويلاً بسبب وفاة الأب وبقاء الولد المسكين يتيماً لا يجد من يطعمه أو يؤويه.
- بعد وفاة الأب لم يجد الصبي في نفسه القوة على القيام بالأعمال الشاقة التي كان يؤديها أبوه، ولم يجد مكاناً يأوي إليه، حتى توسط له شيخ فاضل للعمل في الجامع الأموي، فألحقوا الصبي يساعد الكبار في أعمال النظافة، وفي حراسة نعال المصلين وأهل الحلقات التي يتركونها عند أحد أبواب الجامع، وسمحوا له بأن ينام الليل في زاوية بأحد دهاليز الجامع، على الرخام.

خامساً: بداية طلبه للعلم:

- لم يستطع العز بن عبد السلام أن يطلب العلم في الصغر لرقه حاله وفقره، ولكنه كان يبني في المسجد الأموي ويعمل فيه، فيشاهد حلق العلم والطلاب الذين يدرسون فيها ممن هم في سنه أو أصغر منه، ويتمنى أن يكون معهم، ولذلك كثيراً ما كان يحاول سماع الدروس، وربما يتسلل أحياناً إلى إحدى حلق العلم ليستفيد منها فيمنع ويتردد لعدم استكمال الشروط اللازمة للانضمام. إلى أن رآه ذات يوم الشيخ الذي ألحقه بالجامع وهو الفخر ابن عساكر صاحب حلقة الفقه الشافعي وهو يبكي لعدم السماح له بالانضمام إلى الحلقة، فطيب الشيخ خاطره، ووعد أنه يتعهده حتى ينهي تعليمه.
- وأخذ الشيخ إلى مكتب ملحق بالمسجد وأوصى بأن يتعلم القراءة والكتابة والخط وأن يحفظ القرآن، وتعهد الشيخ بنفقة الصبي.
- أقبل العز على الكتب في شغف عظيم، وحفظ القرآن، وأتقن القراءة والكتابة والخط الحسن، وعض ما فاته من سنوات الدرس.
- ومرت أعوام، واطمأن الشيخ فخر الدين إلى أن الصبي قد أتقن حفظ القرآن وجوده، وإلى أنه قد أصبح يحذق القراءة والكتابة بخط جميل، فبشره الشيخ بأنه سيضم إلى الطلاب الذين يحضرون حلقاته، ودفع إليه بما يعينه على شراء ثوب صالح لحضور حلقات العلم.
- ثم حدثت للعر في تلك الليلة حادثة فتحت له الباب إلى طلب العلم، هذه الحادثة يرويها السبكي في طبقاته فيقول:
- " كان الشيخ عز الدين في أول أمره فقيراً جداً، ولم يشتغل إلا على كبر، وسبب ذلك أنه كان يبني في كلاس «زاوية» من جامع دمشق، فبات فيها ليلة ذات برد شديد فاحتلم. فقام مسرعاً ونزل في البركة فحصل له ألم شديد من البرد. وعاد فنام فاحتلم ثانية فتزل في البركة، لأن أبواب الجامع مغلقة. ولما طلع منها أغمي عليه من شدة البرد. ولما صحا سمع نداء يهتف به: يا ابن عبد السلام أتريد العلم أم العمل؟ فقال عز الدين: العلم، لأنه يهدي إلى العمل". وأصبح الفتى عز الدين، روى لشيخه ابن عساكر ما كان من أمر تلك الليلة. وقال الشيخ له: «لقد بلغت مبلغ الرجال. وهذا النداء هاتف من السماء يأمرك أن تهب نفسك للعلم».
- وأعطاه الشيخ كتاب «التنبيه» في الفقه الشافعي، وأعطاه أسبوعين مهلة ليحسن قراءته واستيعابه. وعاد العز إلى الشيخ بعد ثلاثة أيام وقد استوعب الكتاب وحفظه عن ظهر قلب! فضمه الشيخ ابن عساكر إلى إحدى حلقاته. ١
- هذه كانت بداية طلبه للعلم وهي وإن كانت متأخرة، إلا أن الله عوض العز خيراً وبارك في وقته وعقله فأدرك ما فاته من سنوات الدرس.

1 - طبقات الشافعية الكبرى- للسبكي (عن موقع www.qudsway.com) المقال كاملاً يذكر قصة حياة العز بن عبد السلام من كتاب بعنوان أئمة الفقه التسعة- لعبد الرحمن الشرقاوي - دار العصر الحديث للنشر والتوزيع-١٩٨٥

المبحث الثاني تكوينه العلمي والتربوي

رأينا في المبحث السابق كيف أن العز لم يطلب العلم صغيراً مثل أقرانه بسبب ظروفه المعيشية الصعبة، وإنما ابتداءً العلم في سن متأخرة. لكنه انتظم في حلقات الدرس وأكب على العلم بشغف ونهم وهمة عالية، فحصل في سنوات قليلة ما يعجز أقرانه عن تحصيله في سنوات طويلة. أما خطوات تلقيه للعلم فكانت على النحو التالي:

أولاً: طلبه للعلم في دمشق:

- تلقى العز تعليمه في دمشق حيث كانت دمشق منذ العصر الأموي حاضرة من حواضر العلم تزخر بالعلماء وتموج فيها الحركة العلمية، ويقصدها العلماء من الشرق والغرب.
- وذكرنا في المبحث السابق كيف كانت البداية عندما أعجب أحد الشيوخ الأفاضل في الجامع الأموي بنجابته وذكائه واهتمامه بالعلم فأخذه إلى مكتب ملحق بالمسجد وأوصى بأن يتعلم القراءة والكتابة والخط وأن يحفظ القرآن، وتعهد الشيخ بنفقة الصبي. وأقبل العز على الكتب في شغف عظيم، وحفظ القرآن، وأتقن القراءة والكتابة والخط الحسن، وعض ما فاته من سنوات الدرس.
- وكان كلما لقي شيخه على باب الجامع سأله عن حاله، فيسمعه الصبي ما حفظ من القرآن، ويطلعه على ما يكتب في اللوح الصفيح من الآيات الكريمة. وأعجب الشيخ ابن عساكر بما يبدو على العز من مخايل النجابة والذكاء، وحسن ترتيله للقرآن، وأعجب بصفة خاصة ببشاشة الصبي على الرغم من فقره الطاحن.
- ومرت أعوام، واطمأن الشيخ فخر الدين بن عساكر إلى أن الصبي قد أتقن حفظ القرآن وجوده، وإلى أنه قد أصبح يجذق القراءة والكتابة بخط جميل، فبشره الشيخ بأنه سيضم إلى الطلاب الذين يحضرون حلقاته، ودفع إليه بما يعينه على شراء ثوب صالح لحضور حلقات العلم.
- وضمه الشيخ إلى حلقاته، ونظم له حضور حلقات أخرى في اللغة وآدابها، وفي الحديث وأصول الفقه. ونصحته أن يتقن علوم اللغة من نحو وصرف وأن يحفظ الشعر ويدرسه ليحسن فهم نصوص القرآن.

- ولزم عز الدين شيخه ابن عساكر، وتعلم منه الفقه الشافعي، وكان الشيخ زاهداً ورعاً واسع المعرفة كثير الصدقات، خطيباً، لاذعاً، وهو في الوقت نفسه شديد الحياء، وكان مرحاً متألّق الطرف، فتأثر تلميذه عز الدين ونقل عنه كثيراً من خصاله وسجاياه.

ثانياً: انتقاله إلى بغداد:

وسمع عز الدين أن في العراق شيخاً عنده من علم الحديث ما ليس عند غيره في دمشق فحمل متاعه وزاده وزواده وسار إلى بغداد فوصلها سنة ٥٩٧هـ، وجلس إلى ذلك الشيخ وحفظ عنه الحديث... ولم يمكث فيها طويلاً ثم عاد من جديد إلى دمشق.

ثالثاً: عودته إلى دمشق وتأثره بالصوفية:

عندما عاد العز بن عبد السلام إلى دمشق كانت الصوفية قد انتشرت من جديد في البلاد الإسلامية وتبناها شخص تسمى باسم السهروردي^١، ونشر الأفكار الصوفية ولبس خرقة التصوف زهداً، مما جعل الكثيرين يتأثرون بها ومنهم العز الذي بهر بمؤلاؤه وأحوالهم، وبهرته بصفة خاصة شخصية السهروردي الجديد، فلزمه على الرغم من نصيحة شيخه ابن عساكر، ولبس عز الدين خرقة التصوف عاماً أو بعض عام ملتمساً علم الحقيقة على يد السهروردي الجديد، حتى إذا علم ما عنده، عاد إلى أستاذه ابن عساكر يلتمس عنه علوم الشريعة من جديد.

رابعاً: نبأته وذكاءه:

- على الرغم من أن العز بن عبد السلام بدأ طلب العلم متأخراً إلا أن الله رزقه الفهم العميق والذكاء الخارق فأعانه ذلك على إتقان الفقه والأصول، ودراسة التفسير وعلوم القرآن وتلقي الحديث وعلومه، وتحصيل اللغة والأدب والنحو والبلاغة فأصبح من علماء عصره حتى لقب (بسلطان العلماء).

- وبلغ مرتبة عالية في الفقه والأصول، والفهم الشامل لحقائق الشريعة الإسلامية ومقاصدها، والإحاطة بروح الإسلام إحاطة قلما تتأتى لإنسان، حتى وصل مرتبة الاجتهاد.

- كما أن كبر سنه وذكاءه أعاناه على تحصيل العلم الكثير وهضمه وإدراك مسائله.

^١ - قصة السهروردي وبداية ظهور عقيدته، وتأثر العز بن عبد السلام به ستأتي كاملة في المبحث الثالث من هذا الفصل ص ١٨

- ولقد كان العز شغوفاً بتعلم كل شيء طامحاً إلى معرفة كل جديد، فلم يقتنع بما نال من علم، لذلك تعود أن يغشى مكتبة الجامع الأموي يقرأ فيها كل ما يقع عليه من معارف، وقد كشفت له تأملاته ودراسته في آثار السلف أن كل المعارف الإنسانية تعين على فهم القرآن الذي كان يجب أن يشتغل بتفسيره، ولكنه شعر أن الوقت لم يكن بعد، وأن عليه أن يستوعب الكثير من العلوم حتى يجسر على العمل بالتفسير وهو مطمئن الضمير.

خامساً: أشهر شيوخه:

- كانت دمشق في عصره منتجعاً للعلماء من الشرق والغرب نظراً لتوسطها، فاجتمع فيها جهاذة العلماء البارعين في فنون العلم، وقد تردد عليهم شيخنا العز بن عبد السلام، فنهل من علمهم الصافي الفياض وتأثر بأخلاقهم الفاضلة وسلوكهم في الحياة فانصقلت مواهبه، وتميزت شخصيته الجامعة بين الفقه والأصول والتفسير واللغة.

- وأشهر شيوخ العز ذكرهم السبكي في طبقات الشافعية بقوله: " تفقه على الشيخ فخر الدين بن عساكر، وقرأ الأصول على الشيخ سيف الدين الآمدي وعبد اللطيف البغدادي، والقاضي عبد الصمد الحرساني وغيرهم، وسمع الحديث من الحافظ أبي محمد القاسم بن عساكر".¹

- أما تراجع أهم شيوخه:

١- الآمدي: أبو الحسن علي بن أبي علي محمد الملقب بسيف الدين الآمدي الفقيه الأصولي المتكلم كان حنفياً ثم انتقل إلى مذهب الشافعي، وأشهر مؤلفاته كتاب الإحكام في أصول الأحكام توفي رحمه الله تعالى سنة ٦٣١ هجرية^٢. وقال عنه تلميذه العز بن عبد السلام: (ما علمت قواعد البحث إلا من السيف الآمدي، وما سمعت أحداً يلقي الدرس أحسن منه).

٢- فخر الدين بن عساكر: هو عبد الرحمن بن محمد بن الحسن بن هبة الله الدمشقي. أبو منصور فخر الدين بن عساكر. كان شيخ السادة الشافعية بزمانه. (هو ابن أخي شيخ الإسلام الإمام المؤرخ الحافظ علي بن عساكر) ت: ٥٧١هـ. كان فخر الدين بن عساكر يتردد بين القدس ودمشق ويتولى التدريس فيهما. هو أول من درس بالمدسة العذراوية التي أنشأها الست عذراء بنت شاهنشاه بن نجم الدين أيوب، بنت أخي صلاح الدين الأيوبي.

¹ - ترجمة المؤلف في مقدمة كتابه شجرة المعارف والأحوال- ص ٨- ومعالم الثقافة الإسلامية - عبد الكريم عثمان ص ٢٩٤

² - ترجمة المؤلف من مقدمة كتابه (الإحكام في أصول الأحكام) - تحقيق الشيخ عبد الرزاق عفيفي ص ١٣

٣- **القاضي عبد الصمد الحرستاني:** هو قاضي القضاة خطيب دمشق عماد الدين أبو الفضائل عبد الصمد بن محمد بن أبي الفضل بن علي الأنصاري الخزرجي الحرستاني الدمشقي الشافعي. درّس وأفتى وناظر وولي القضاء من جهة الملك العادل، ثم عُزل ودرّس بالغزالية. وكان ذا علم وجمالة وتصوّف وديانة وسمت حسن. توفي سنة ٦٦٢هـ^١.

٤- **أبي محمد القاسم بن عساكر:** هو أبو محمد القاسم بن الحافظ الكبير علي بن عساكر محدث دمشق ومؤرخها .

٥- **عبد اللطيف البغدادي:** هو موفق الدين أبو محمد عبد اللطيف البغدادي، ولد في بغداد سنة ٥٥٧هـ ودرس فيها الأدب والفقه، والقرآن، والحديث، والحساب، والفلك. وفي أواخر حياته عاد إلى دمشق وحلب حيث توفي سنة 629 .

سادساً: أشهر العلوم التي برع فيها:

وكعادة السالكين في دراسة العلوم اللغوية والدينية، فقد درس الشيخ العلوم العربية والدينية بمختلف فنونها وأنواعها من نحو وبلاغة وحديث، وهذه العلوم أخذها عن كبار الأساتذة في ذلك العصر، ومن أشهر العلوم التي ألف فيها:

- ١- **التفسير:** وألف كتاباً كان عبارة عن مجموع ما يلقي من الدروس في التفسير.
- ٢- **الحديث:** وسمعه من أبي محمد القاسم بن الحافظ الكبير علي بن عساكر محدث دمشق ومؤرخها. وله مؤلفات عديدة.
- ٣- **الفقه:** ودرسه على الإمام فخر الدين بن عساكر.
- ٤- **علم الأصول:** وأخذه عن العالم الثقة سيف الدين الأمدي وعبد اللطيف البغدادي، والقاضي عبد الصمد الحرستاني.
- ٥- **النحو والبلاغة** وعلوم اللغة.
- ٦- **علم الكلام:** واستوعب العز كل ما تركه السلف في علم الكلام (العلم الذي يتكلم عن الله وصفاته وأسمائه). وذلك من خلال ترده على مكتبة الجامع الأموي.
- ٧- **السيرة والتصوف وفضائل الأعمال:** وألف فيها كتباً عديدة.

هذه هي أهم العلوم التي برع فيها العز بن عبد السلام. وفي المبحث التالي سوف نورد عقيدته ومذهبه الفقهي بالحديث لكثرة ما ورد فيها من القيل والقال.

^١ - سير أعلام النبلاء- الذهبي- ج ١٧- ص ٢٥

المبحث الثالث عقيدته ومذهبه الفقهي

أولاً: مذهبه الفقهي:

- كان العز بن عبد السلام شافعي المذهب، لأن هذا المذهب كان مشتهراً في ذلك الزمان في بلاد الشام، كما أن السلطان صلاح الدين الأيوبي اعتنق المذهب الشافعي فألزم به الناس.
- يقول ابن كثير في البداية والنهاية عن العز:
" كان العز بن عبد السلام شافعي المذهب، وبرع رحمه الله في المذهب وفاق فيه الأقران والأضراب، وجمع بين فنون العلم من التفسير، والحديث والفقه والأصول، والعربية وغيرها حتى بلغ رتبة الاجتهاد، وانتهت إليه رئاسة الشافعية، وأفاد ودرّس بعدة مدارس بدمشق وقصد بالفتاوى من الآفاق".¹
- ولكن مهما يكن حظه من الفقه، فقد كان داعية إلى التجديد، عدواً للتقليد يعيب على أتباع المذاهب تجردهم عند مذاهبهم حتى حين يبدو لهم الخطأ في بعض الفروع أو الأصول. وكان يقول لهم:
"إننا لم نؤمر بتقليد الصحابة فكيف نقلد الأئمة أصحاب المذاهب؟"
- لذلك فهو وإن كان نفسه شافعيّاً في الأصل لكنه لم يتقيد بالمذهب الشافعي، وخالفه وأخذ بغيره أو اجتهد رأيه بقدر ما استطاع، وبقدر ما سمحت له ظروف عصره.
- قال السيوطي عن اجتهاده أنه:
" كان في آخر عمره لا يتعبد بالمذهب، بل اتسع نطاقه، وأفتى بما أدى إليه اجتهاده".²

ثانياً: عقيدته:

لقد كان العز بن عبد السلام سنياً صحيح العقيدة من أئمة أهل السنة والجماعة كما أفادت كتب الأعلام التي ذكرته، وكما يظهر في مؤلفاته، وإن كان ذكر في بعض الكتب أنه كان أشعرياً. كما ذهب بعض مؤرخي المتصوفة إلى أن العز تصوّف. فهل كان العز صوفياً؟ وماذا عن أشعريته؟

¹ - البداية والنهاية- ج ١٣- ص ٢٦٤

² - معالم الثقافة الإسلامية- عبد الكريم عثمان - ص ٣٩٥

١ - العز بن عبد السلام أشعري^١ العقيدة:

لقد تبني العز المذهب الأشعري، والسبب في ذلك أنه أعجب بأبي الحسن الأشعري (هذا الفقيه الذي ألف الكتب على مذاهب أهل السنة ورد على المعتزلة في كل مقولات علم الكلام «حتى دخلوا في أقماع السمسم»).

لقد أعجب العز بن مجاهد الأشعري حين وقف في وجه المعتزلة ودافع عن السنة بالحجة والمنطق في الوقت الذي لم تنفع الطرق الأخرى التي قام بها علماء السنة كاعتزالهم أو إثارةهم السكوت؛ ذلك عندما كان المعتزلة قد ذهبوا إلى أن العقل هو أساس الحكم بالقبح والحسن، وتبين الحلال والحرام، وذهبوا إلى تفسير الآية الكريمة (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا)، إلى أن الرسول ليس هو النبي الذي يرسله الله، ولكنه العقل. واهتمهم أهل السنة بالكفر، ورفضوا أن يتكلموا في العقائد بالأدلة العقلية، وهاجموا المنطق والفلسفة، حتى جاء أبو الحسن الأشعري، فاستعان بالمنطق والفلسفة في الكلام عن العقائد، ودافع عن السنة بأدلة المعتزلة، ولم يعتمد على النصوص وحدها في كلامه عن العقائد، وإنما عمل العقل، ليناور المعتزلة بأسلحتهم. فأعجب العز بهذا كله، واعتنق عقيدة الأشعري، كما أعتنقها من قبل أكثر المستنيرين من أهل السنة والرأي مهما تختلف مذاهبهم الفقهية. ولقد شاعت عقيدة الأشعري فاجتمع عليها الشافعية والمالكية والحنفية^٢ وفضلاء الحنابلة كما قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام فيما بعد.

ومهما يكن من تبنيه بعض أقوال الأشاعرة في مسائل الكلام والصفات فهذا لا يطعن في الرجل، ولا يخرج من دائرة أهل السنة والجماعة، ولا حتى يقلل من شأنه. فهو أحد أعلام أهل السنة والجماعة الذين استفاضت المعرفة باستقامة منهجهم في أصول الدين وفروعه، وقد أقر له الموافق والمخالف بالإمامة، وطار ذكره في الآفاق.

٢ - العز بن عبد السلام والصوفية:

^١ - المذهب الأشعري انتشر في ذلك العصر بسبب تبنيه في أغلب مدارس الدولة الإسلامية كالمدرسة النظامية في بغداد، ومدرسة نيسابور النظامية إضافة إلى تبنيه من بعض أمراء المسلمين كصلاح الدين الأيوبي ونور الدين زنكي. بالإضافة إلى اعتماد جمهرة من العلماء عليه، وبخاصة فقهاء الشافعية والمالكية المتأخرين أمثال العز بن عبد السلام والنووي وغيرهما. (المصدر: الموسوعة الميسرة للمذاهب والأديان المعاصرة ج ١ - ص ٩٠)

^٢ - من الأعلام الذين تبناوا الأشعرية: (الإمام النووي، وإقاضي عياض، وابن حجر العسقلاني، والباقلاني، وغيرهم كثير)

الحقيقة أن العز لم يكن صوفياً بمعنى الكلمة ولكنه تأثر بالصوفية في فترة من حياته، ذلك أنه عاصر محنة **السهورودي** الصوفي الشيعي صاحب **فكرة الإشراق**، الذي حكم عليه بالإعدام في عهد السلطان صلاح الدين الأيوبي لتمسكه بأفكاره الكفرية وعدم تنازله عنها، فحبس حتى مات صبراً وكان العز عند هذه الحادثة صبيّاً في العاشرة من عمره فتأثر كثيراً.

ولما كبر العز كانت أفكار السهورودي انتشرت في دمشق وحلب واصطكك الناس فيه بين مستنكر ومعارض ولكن أفكار السهورودي هذه راجت وانتشرت في أماكن العلم، حتى ظهر في دمشق رجل آخر تسمى باسم السهورودي، وأذاع أفكاره في الإشراق، ولبس خرقة التصوف، ومضى في الطرقات يهتف بالناس: «الله نور السموات والأرض» وأخذ يشرح أفكار عن النور والفيض الإلهي، وتبعه قوم لبسوا خرقة التصوف، وأطلقوا كلمات في الأسواق وندوات العلم، كلمات مكثفة تحمل رموزاً كثيرة.

فبهر الشاب عز الدين هؤلاء وأحوالهم - وكان ذلك في بداية حياته العلمية - وبهرته بصفة خاصة شخصية السهورودي الجديد، فلزمه على الرغم من نصيحة شيخه ابن عساكر، ولبس عز الدين خرقة التصوف عاماً أو بعض عام ملتصقاً بعلم الحقيقة على يد السهورودي الجديد، حتى إذا علم ما عنده، عاد إلى أستاذه ابن عساكر يلتمس عنه علوم الشريعة من جديد^١.

هذه هي قصة الشيخ مع الصوفية!! والذي يظهر منها أنه لم يكن ذلك التابع الذي لا يدري ما يفعل بل كان -رحمه الله تعالى - عالماً فقيهاً. وحتى لو تأثر بشيخ لزهده فلا يعني هذا أنه تبني أفكاره أو دعا إليها بلا بصيرة، وإنما يظهر من شخصيته أنه يجب دائماً الرد العلمي بالمنطق ويتعلم الشيء قبل أن يحكم عليه ويرفضه، ولذلك فإن ذهابه إلى السهورودي كان بسبب شغفه وحبه لتعلم العلوم الموجودة والمتنشرة في ذلك الزمان، حتى إذا علمها واكتشف شذوذها تركها وعاد إلى شيخه.

^١ - هو شهاب الدين أبو الفتوح محيي الدين بن حسن (٥٤٩-٥٨٧) صاحب مدرسة الإشراق الفلسفية التي أساسها الجمع بين آراء مستمدة من ديانات الفرس القديمة ومذاهبها في ثنائية الوجود وبين الفلسفة اليونانية في صورتها الأفلاطونية الحديثة ومذاهبها في الفيض والظهور المستمر، ولذلك اتهمه علماء حلب بالزندقة والتعطيل والقول بالفلسفة الإشراقية، مما حدا بهم أن يكتبوا إلى السلطان صلاح الدين الأيوبي محضراً بكفره، وزندقته فأمر بقتله لردته، ومن كتبه، (حكمة الإشراق)، (وهياكل النور) - (المصدر: الموسوعة الميسرة للأديان والمذاهب - ج١ - ص ٢٥٩)

^٢ - وفكرة الإشراق: وهي الفيض الإلهي الذي تشرق به قلوب الصالحين فيحصلون المعرفة الذوقية مع المعرفة العقلية. وفكرة الإشراق تعني أن النور أساس كل الموجودات، اعتماداً على الآية الكريمة: (الله نور السموات والأرض).

^٣ - هذه القصة منقولة عن موقع (www.gudsway.com) على الانترنت: المقال كاملاً يذكر قصة حياة العز بن عبد السلام نقلًا عن كتاب بعنوان أئمة الفقه التسعة - لعبد الرحمن الشرفاوي - دار العصر الحديث للنشر والتوزيع - ١٩٨٥

ومن جهة أخرى فإن التصوف يخالف طبيعة الشيخ عز الدين. فقد كان بعض التصوف في عصر الشيخ هروباً من الواقع، وكان الشيخ من أشد الناس جسارة في مواجهة الواقع، وأنشطهم إلى تغييره. فقد ظل يواجه عصره ويقاوم مفسده ويصك المجتمع بمواقف رائعة، وكان إلى كل ذلك زاهداً من أولئك الزهاد العظام الذين يفرضون بالقول والموقف والسيره قيماً شريفة فاضلة على مجتمع تمتهن فيه الفضائل ويشقى به الشرفاء!

ومهما يكن من أمر الشيخ فقد كتب في التصوف وشرح أحوال الصادقين من المتصوفة، ودافع في شعر له عن سماع الأذكار وأناشيد الصوفية في حلقات الذكر.

وما كان يمكنه أن يتجاهل تياراً يحتاج العصر، ولكنه رد التصوف إلى أصوله النبيلة في مجاهدة النفس لتتطهر من الهوى فلا تمتلئ إلا بالحقيقة ونور الحق، وتناضل في سبيل الخير وتعمر الدنيا بالحب والعدل والجمال والحرية.

هذه هي قصة الشيخ مع الصوفية؛ فعندما نتحدث عن عقيدته لا يجوز أن نصفه بأنه كان صوفياً حتى لا يفهم أنه كان متبنياً شطحات الصوفية وأفكارها المنحرفة. كل ما في الأمر هو أنه كان زاهداً محباً للعبادة مال إلى الزهاد في فترة من حياته، ولم تترك هذه الفترة أثراً مضللاً على أفكاره كما يظهر في كتبه فيما بعد.

الفصل الثالث

العز بن عبد السلام

(في مرحلة التدريس والعطاء)

تمهيد:

بعد أن أنهى الشيخ تحصيله العلمي اتجه إلى التدريس والإفتاء في دمشق، ولكن بسبب قوته في الحق وعدم تماونه مع الخطأ اضطر إلى ترك الشام والذهاب إلى مصر ليقوم بواجبه الديني هناك. ثم عمل بالتصنيف فترك وراءه مصنفات قل أن يكون لها نظير.

جهوده العلمية هي موضوع هذا الفصل الذي ينقسم إلى المباحث التالية:

- المبحث الأول: الوظائف التي شغلها العز بن عبد السلام في الشام
- المبحث الثاني: العز بن عبد السلام في مصر
- المبحث الثالث: مؤلفاته وجهوده العلمية

المبحث الأول الوظائف التي شغلها العز بن عبد السلام في الشام

عندما كبر الشيخ العز بن عبد السلام وأتم دراسته وتحصيله العلمي في دمشق وبغداد عاد مرة أخرى إلى دمشق واستمر فيها، ثم اشتغل بالوظائف التالية:

أولاً: اشتغاله بالتدريس:

لم يكد ينتهي من الدراسة على شيخه الفخر بن عساكر، وغيره من الشيوخ في جامع دمشق، حتى أجازوه للتدريس. وعين مدرساً بدمشق، يقرئ الطلاب القرآن، ويعلمهم القراءة والكتابة. ثم نقل إلى مدرسة أعلى. يعلم الطلاب الفقه وأصول الفقه على المذهب الشافعي. وهو المذهب السائد إذ ذاك في كل البلاد التي حكمها صلاح الدين. وعرف الناس في ندوات دمشق شيخاً متوسط الطول، يسخر مما يلقي، مرحاً ضاحك السن، عليه مع ذلك وقاره، عذب الحديث، خفيض الصوت إذا تكلم، جهير الصوت إذا أنفعل أو خطب، نظيف الثوب، لا يرد سائلاً، فإذا لم يجد ما يتصدق به اقتطع جزءاً من عمامته ودفن به إلى سائله!

اتجه العز إلى التدريس وإلقاء الدروس في مساجد دمشق وفي بيته، وفي المدارس التي كانت تتعدها الدولة، مثل: المدرسة الشبلية، والمدرسة الغزالية بدمشق، وكان في الشيخ حب للدعابة وميل إلى إيراد الملح والنوادر يلطف بها درسه وينشط تلاميذه الذين أعجبوا بطريقته، ويعلمه السيال وأفكاره المتدفقة وأسلوبه البارع، وسرعان ما طار صيت العز، وطبقت شهرته الآفاق، وقصده الطلبة من كل مكان¹.

ثانياً: اشتغاله بالخطابة في الجامع الأموي:

¹ - العز بن عبد السلام- أحمد تمام- مقال على موقع إسلام أون لاين على الانترنت

ولم يكن التدريس فقط ميدانه المحبب، وساحته التي يرمي بأفكاره فيها، ويلتقي بالصفوة من تلاميذه، بمدهم بقبس علمه، وصفاء روحه، وإخلاص نفسه، ويقدم الصورة والمثال لما ينبغي أن يكون عليه العالم القدوة من الالتزام والانضباط. فبعد أن عاش فترة من حياته في دمشق اشتغل فيها بالتدريس، أضاف إلى ذلك مجالاً أرحب بتوليه الخطابة في الجامع الأموي بدمشق سنة (٦٣٧ هـ)^١.

وكان خطيباً بارعاً، يملك أفئدة السامعين بصوته المؤثر، وكلامه المتدفق، وإخلاصه العميق، ولم يكن يؤثر استخدام السجع المفرط كما كان يفعل أقرانه، ولا يدق مثلهم بالسيف الخشبي على أعواد المنابر، ولا يرتدي السواد، وإنما كان فيه سلاسة ويسر، يتعد عن التكلف في الكلام، ويصيب بحديثه الطيب شغاف القلوب، فيعمل فيها ما لا تعمله عشرات الدروس والمواعظ الخالية من الروح، الفقيرة من العاطفة.

ثالثاً: خلافه مع السلطان الصالح إسماعيل ومغادرته دمشق:

تولى العز الخطابة في الجامع الأموي في عصر الملك الصالح إسماعيل الأيوبي حاكم دمشق، ولكنه لم يستمر في الخطابة سوى سنة تقريباً. لأنه بعد فترة من توليه الخطابة قام الملك الصالح بالتحالف مع الصليبيين على قتال ابن أخيه الصالح أيوب حاكم مصر، وكان ثمن هذا الحلف أن سلّم لهم صيدا وشقيف وصفد، ولم يكتف الصالح إسماعيل بتصرفه الشائن وإنما سمح لهم بدخول دمشق لشراء السلاح والطعام لقتال المسلمين في مصر.

ولم يكن الشيخ ليسكت عن خطأ أو يسمح بتجاوز في حق الأمة، أو تفريط في ثوابتها؛ فصعد المنبر وخطب في الناس خطبة عصماء، وأفتى بجرمة بيع السلاح للفرنجية، بعد أن ثبت أنه يُستخدم في محاربة المسلمين. ثم أعقب ذلك بخطبة مدوية في الجامع الأموي قبح فيها الخيانة وغياب النجدة والمروءة، وذم ما فعله السلطان وقطع الدعاء له بالخطبة. وكان ذلك بمثابة إعلان للعصيان العام وقال في آخر خطبته: "اللهم أبرم أمر رشد لهذه الأمة يعز فيه أهل طاعتك ويذل فيه أهل معصيتك ويؤمر بالمعروف وينهى فيه عن المنكر" ثم نزل.

وما كان من الصالح إسماعيل إلا أن أقدم على عزل الشيخ الجليل عن الخطابة والإفتاء، وأمر باعتقاله، ثم فك حبسه بعد مدة خوفاً من غضبة الناس وألزمه بيته، ومنعه من الإفتاء.

^١ - المصدر السابق

رابعاً: العز في بيت المقدس:

أيقن الشيخ صعوبة الحركة مع حاكم يفرط في الحقوق، ويقدم على الخيانة بنفس راضية، فقرر الهجرة إلى بلد يمارس فيها دعوتَه، ويدعو إلى الله على بصيرة، عالي الجبين، مرفوع الهامة. فخرج من دمشق إلى جهة بيت المقدس، فأرسل إليه الصالح إسماعيل رسولاً من بطانته وطلب منه ملاطفة العز وملايئته بالكلام الحسن، وأن يعرض عليه الاعتذار للملك، ويعود إلى ما كان عليه، فذهب الرجل إلى العز وقال له: ليس بينك وبين أن تعود إلى منصبك وأعمالك وزيادة على ما كنت عليه، إلا أن تأتي وتُقْبِلَ يد السلطان لا غير، فضحك العز وقال قولته المشهورة: "يا مسكين، والله ما أرضى أن يُقْبِلَ الملك الصالح إسماعيل يدي فضلاً عن أن أُقْبِلَ يده، يا قومُ أنا في واد، وأنتم في واد آخر، الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاكُم به". فما كان من الملك إلا أن أمر بحبسه حتى جاءت الجيوش المصرية المنتصرة فحررتَه¹.

خامساً: تلاميذه:

روى عنه وأخذ منه الكثير، منهم:

1. الشيخ ابن دقيق العيد: محمد بن علي بن وهب بن مطيع أبو الفتح تقي الدين القشيري المعروف كأبيه وجدته بابن دقيق العيد قاض من أكابر العلماء بالأصول مجتهد. أصل أبيه من منفلوط بمصر، وانتقل إلى قوص، وتعلم بدمشق والإسكندرية ثم بالقاهرة. ولي قضاء الديار المصرية سنة ٦٩٥ هجرية. له تصانيف منها (أحكام الأحكام في الحديث). توفي رحمه الله تعالى سنة ٧٠٢ هجرية. وهو الذي لقب العز بن عبد السلام (سلطان العلماء).
2. ابن الفرکاح. المتوفي عام (٧٢٩هـ). وأبو محمد الدميّطي وآخرون².

¹ - إيضاح الكلام فيما جرى للعز بن عبد السلام في مسألة الكلام - لابنه الشيخ محمد عبد اللطيف حكاية عن أبيه العز الدين بن عبد السلام

² - ترجمة المؤلف في مقدمة كتابه شجرة المعارف والأحوال - ص ٨

المبحث الثاني العز بن عبد السلام في مصر

- بعد مغادرته الشام اتجه العز بن عبد السلام إلى مصر وقد كان فيها ملكاً صالحاً استقبله عند وصوله استقبلاً حسناً وأكرمه، وفوض إليه قضاء مصر وخطابة الجامع العتيق.
- عاش في مصر حتى انتهت الدولة الأيوبية، وجاءت دولة المماليك وعاصر الظاهر بيبرس الذي كان يجلب الشيخ العز بن عبد السلام ويحترمه، ويعرف مقداره، ويقف عند أقواله وفتاويه. أما أهم الأحداث التي شهدتها في مصر:

أولاً: الوظائف التي اشتغلها في القاهرة في عصر الأيوبيين:

عندما وصل الشيخ إلى القاهرة سنة (٦٣٩ هـ = ١٢٤١ م) واستقبله الصالح أيوب بما يليق به من الإكرام والتبجيل، ولاه الخطابة في جامع عمرو بن العاص (الجامع العتيق)، وعينه في منصب قاضي القضاة، والإشراف على عمارة المساجد المهجورة بالقاهرة وباقى مصر، وهي الأعمال التي تناط الآن بوزارة الأوقاف، لكنها كانت تسند في ذلك الوقت إلى القضاة؛ لأمانتهم ومكانتهم الدينية والاجتماعية.

ثانياً: بيعه للأمراء:

قبل الشيخ الجليل منصب قاضي القضاة ليصلح ما كان معوجاً، ويعيد حقاً كان غائباً، وينصف مظلوماً، ويمنع انحرافاً وبيلا، فلم يكن يسعى إلى جاه وشهرة، وفي أثناء قيامه بعمله اكتشف أن القادة الأمراء الذين يعتمد عليهم الملك الصالح أيوب لا يزالون أرقاء لم تذهب عنهم صفة العبودية، والمعروف أن الملك الصالح أكثر من شراء المماليك وأسكنهم جزيرة الروضة واعتمد عليهم في إقامة دولته وفي حروبه، وهؤلاء المماليك هم الذين قضوا على الدولة الأيوبية في مصر وأقاموا دولتهم التي عُرفت بدولة المماليك.

- وما دام هؤلاء الأمراء أرقاء فلا تثبت ولايتهم ونفاذ تصرفاتهم العامة والخاصة ما لم يُحرروا، فأبلغهم بذلك، ثم أوقف تصرفاتهم في البيع والشراء والنكاح وغير ذلك مما يثبت للأحرار من أهلية التصرف، فتعطلت مصالحهم، وكان من بين هؤلاء الأمراء نائب السلطان.

- وحاول هؤلاء الأمراء مساومة الشيخ فلم يفلحوا وأصر على بيعهم لصالح بيت المال، ثم يتم عتقهم ليصبحوا أحراراً تنفذ تصرفاتهم، قائلاً لهم: نعقد لكم مجلساً، ويُنادى عليكم لبيت مال المسلمين، ويحصل عتقكم بطريق شرعي، وما كان ذلك ليرضيهم فرفضوا ورفعوا الأمر إلى السلطان الصالح أيوب، فراجع الشيخ في قراره فأبى، وتلفظ السلطان بكلمة نددت منه أغضبت الشيخ، وفهم منها أن هذا الأمر لا يعنيه ولا يتعلق بسلطته، فانسحب الشيخ وعزل نفسه عن القضاء، فما قيمة أحكامه إذا لم تُنفذ، وردها صاحب الجاه والسلطان.

- وما أن انتشر خبر ما حدث، حتى خرجت الأمة وراء الشيخ العز الذي غادر القاهرة. وأدرك السلطان خطورة فعلته، فركب في طلب الشيخ واسترضاه وطيب خاطره واستمال قلبه، وطلب منه الرجوع معه، فوافق العز على أن يتم بيع الأمراء بالمناداة عليهم. وكم كان الشيخ مهيباً جليلاً وهو واقف ينادي على أمراء الدولة واحداً بعد واحد، ويغالي في ثمنهم حتى إذا ارتفع السعر إلى أقصى غايته وعجز المشترون قام السلطان الصالح أيوب بدفع الثمن من ماله الخاص إلى الشيخ الشجاع الذي أودع ثمنهم بيت مال المسلمين، وكانت هذه الواقعة الطريفة سبباً في إطلاق اسم (بائع الأمراء) على الشيخ المهيب.

ثالثاً: اشتغاله بالتدريس ثانية:

ضاق السلطان ذرعاً بالشيخ المهيب وبتصرفاته، وأضمر أن يتخلص منه؛ فقد خافه على ملكه، ولكنه لا يستطيع ذلك خوفاً من رد فعل الناس. ولكن سرعان ما أعلن الشيخ أنه يقبل نفسه من منصب قاضي القضاة، لأنه ما عاد يطيق أن يقضي بقضاء تنتظر الشرطة إذن رئيس الشرطة أو السلطان لتنفيذ الأحكام، وقد لا تنفذها.

ولم يكف السلطان يسمع بما حدث من الشيخ حتى صفق السلطان طرباً، وحمد الله لأن الشيخ أعفاه من حرج كبير، فأقال نفسه بنفسه! وأرسل السلطان رسولا إلى الشيخ بموافقته على استقالته.

بعد ذلك زار السلطان العز وطلب منه أن يدرس الفقه الشافعي في المدرسة الجديدة التي أقامها السلطان لتدريس الفقه على المذاهب الأربعة، وأسمها السلطان باسمه - المدرسة الصالحية. فقبل الشيخ ونهض بتدريس الفقه، والتفسير. وكان هو أول من ألقى دروساً في التفسير بمصر منذ عهد بعيد. كما قام الشيخ بتدريس الفقه الشافعي في هذه المدرسة. وخطط العز دروسه لكي تكون كتباً ينتفع بها الناس، ودرس كذلك أصول الفقه والتصوف، بهذه المدرسة الجديدة.

حزن الناس لأن الشيخ ترك القضاء وما عرفوا في زمانهم قاضياً أكثر حسماً وأعمق نظراً ولا أهدأ منه للأمر. ولكن الشيخ سر بذلك وحمد الله لأمرين؛ فمن جهة شعر بأن حملاً ثقيلاً انزاح عن ظهره، ومن جهة أخرى أحس بأن ما حدث كان من حسن حظه لأنه أعطاه الوقت الكافي للتأليف، فقد ضاع منه عمر طويل وما كتب بعد شيئاً.

استقر الشيخ في داره، يؤلف الكتب، مستفيداً من كل ما مر به، فألف كتباً في الفقه والتفسير وأصول الفقه والتصوف.. حصاد تجاربه وقراءاته وتأملاته وفتاويه. واستمر الوضع على ما هو عليه حتى دب الخلاف في الدولة الأيوبية وانتشرت في القاهرة أخبار غزوة صليبية تتجه إلى دمياط بقيادة لويس التاسع. فوقف الشيخ تاركاً كل أعماله ليدعو كل أفراد الأمة إلى الجهاد حتى انتصر المسلمون. وعاد الشيخ إلى دروسه وخطبه وتلاميذه وكتبه.

رابعاً: مع الظاهر بيبرس:

في أثناء الحملة الصليبية مات السلطان في المنصورة ثم تولى مكانه ابنه توران شاه، الذي قتله مماليك أبيه حرقاً وغرقاً. وتولت بعده زوجة أبيه المملوكة شجر الدر، ثم قتلت، وتوالى أمراء المماليك بعد سقوط بني أيوب كل يقتل صاحبه ويتولى مكانه! حتى اجتمعوا أخيراً تحت قيادة الملك المظفر الظاهر بيبرس المملوكي.

وعند تولي بيبرس الملك وبيعته تكرر الأمر الذي فعله العز مع المماليك في عصر الملك الأيوبي مرة أخرى؛ فحين استدعى بيبرس الأمراء والعلماء لبيعته، وكان من بينهم الشيخ العز، فاجأ العز الظاهر بيبرس والحاضرين بقوله: يا ركن الدين أنا أعرفك مملوك البندقدار -أي لا تصح بيعته؛ لأنه ليس أهلاً للتصرف- فما كان من الظاهر بيبرس إلا أن أحضر ما يثبت أن البندقدار قد وهبه للملك الصالح أيوب الذي أعتقه، وهنا تقدّم الشيخ فباع بيبرس على الملك.

بقي الشيخ بعد ذلك في مصر يدرس ويخطب ويفتي وقد تخرج على يده أئمة، وأرسي تقاليد للقضاة والفقهاء والعلماء، وترك ميراثاً عظيماً من جسارة المواقف، حتى وافته المنية عام ٦٦٠.

المبحث الثالث مؤلفاته وجهوده العلمية

تعددت مساهمات العز بن عبد السلام في الإفتاء والخطابة والقضاء والتدريس والتأليف، وله في كل إسهام قدم راسخة ويد بيضاء، وانتهت إليه في عصره رئاسة الشافعية، وبلغت مؤلفاته أكثر من أربعين مؤلفاً، وهي دليل نبوغ فذ وقدرة عالية على أن يجمع بين التأليف وأعماله الأخرى التي تستنفد الجهد وتفنى الأعمار فيها، لكنه فضل الله يؤتبه من يشاء، فاجتمع له من الفضل ما لم يجتمع إلا للأفذاذ النابغين من علماء الأمة.

وشملت مؤلفاته التفسير وعلوم القرآن والحديث والسيرة النبوية، وعلم التوحيد، والفقه وأصوله والفتوى. ومن أشهر كتبه:

◆ في الفقه وأصوله

١. قواعد الأحكام في مصالح الأنام:

ويعد هذا الكتاب أول مؤلف يوضع خارج المذهب الحنفي لبيان القواعد الكلية. ويرجع الفقه عند الشيخ إلى أساس واحد، وهو اعتبار المصالح ودرء المفاسد، فالكتاب يدور حول هذا الأساس "بناء الأحكام الشرعية على مصالح العباد"، وقد أثبت نظريته بتطبيقها على مئات بل الألوف من المسائل، وضمه كثيراً من القواعد الفقهية. وقال في أوله: «الشرعية كلها إما درء مفسد أو جلب مصالح. فإذا سمعت الله تعالى يقول: (يا أيها الذين آمنوا) فلا تجد إلا خيراً يثبتك عليه أو شراً يزعجك عنه أو جمعاً بين الحث والزهر. وقد أبان الله تعالى ما في بعض الأحكام من المفاسد فحث على اجتناب المفاسد وما في بعض الأحكام من المصالح فحث على إتيان المصالح».

ثم يقول: أما مصالح الدارين «الدنيا والآخرة» وأسبابها ومفاسدها فلا تعرف إلا بالشرع. فإن خفي طلب بأدلة الشرع وهي الكتاب والسنة والإجماع والقياس والاستدلال الصحيح. أما مصالح الدنيا وأسبابها ومفاسدها فمعروفة بالضرورات والتجارب والعادات والظنون والمعتبرات. فإن خفي شيء من ذلك طلب من أدلته. ومن أراد أن يعرف المصالح والمفاسد فليعرضها على العقل.

فهو يدعو إلى إعمال العقل في استنباط الأحكام، وفي التعرف على المصالح. وهو يرى أن الأحكام إن لم يمكن استنباطها من الكتاب أو السنة أو الإجماع أو القياس، فيجب استنباطها بما يحقق مصلحة ويدرأ مفسدة. والعقل هو أداة هذا الاستنباط.

ولم يكن العز بن عبد السلام مبتدعاً في هذا لأن هذه النظرية تقوم على الحديث المعروف "لا ضرر ولا ضرار"، وقد اعتبرها الأئمة المالكية والأحناف قبله في كثير من الأحكام الفرعية، إلا أنه أول من ألقى عليها ضوءاً أوسع، وأثبت صلاحها في مسائل لا تعد.

- كما ألف كتباً عديدة في الفقه وأصوله، منها:

٢. **الغاية في اختصار النهاية في الفقه الشافعي.**

٣. **الفوائد في اختصار المقاصد.**

٤. **مقاصد الصلاة.**

٥. **مقاصد الصوم.**

٦. **مناسك الحج.**

٧. **الفتاوى الموصلية.**

٨. **الفتاوى المصرية.**

٩. **رسالة في ذم صلاة الرغائب.**

○ ومن المسائل التي ذكرها في كتبه:

- أنه من الممكن تأخير بعض المصالح لما لتعجيلها من مفسد «فقد أحر الله إيجاب الصلاة والصيام، ولو عجل بهما لنفروا من الدخول في الإسلام».
- في تحصيل المصالح يراعي الأفضل فالأفضل لقوله تعالى: (فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه)^١. وقوله (واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم)^٢. وعلى ذلك:
 ١. فإنقاذ الغرقى مقدم على أداء الصلوات لأنه أفضل عند الله من أداة الصلاة والجمع بين المصلحتين ممكن بأن ينقذ الغريق ثم يقضي الصلاة. ومعلوم أن ما فاته من أداء الصلاة لا يقارب إنقاذ نفس مسلمة من الهلاك.
 ٢. ولو رأى الصائم في رمضان غريقاً لا يتمكن من تخليصه إلا بالتقوي بالفطر فإنه يفطر وينقذه. لأن في النفوس حقاً لله تعالى

١ - الزمر: ١٧

٢ - الزمر: ٥٥

- وحقا لصاحب النفس، فقدم ذلك على أداء الصوم.
- الأئمة «الحكام» البغاة لا ولاية لهم. وإنما نفذت تصرفاتهم وتوليتهم لضرورة مصلحة الرعايا، وأنه مع غلبة الفجور عليهم لا انفكاك للناس منهم. وأما أخذهم الزكاة فإن صرفوها في مصارفها أجزأت، وإن صرفوها في غير مصارفها لم يبرأ الأغنياء منها. ومصالح الفقراء أولى من مصالح الأغنياء لأنهم يتضررون بعدم أخذ نصيبهم من الزكاة، ولا يتضرر به الأغنياء من تشيئة الزكاة.
 - دفع المشقة واجب؛ فيجوز التيمم للمشقة كالخوف من حدوث المرض من ماء الوضوء أو خوف إبطال الشفاء، أو إذا غلا ثمن الماء وأصبح الحصول عليه مشقة أو إذا احتاج الإنسان إلى ثمنه في سفر أو نحوه.
 - لو عم الحرام الأرض بحيث لا يوجد فيها حلال، جاز أن يستعمل من ذلك ما تدعو إليه الحاجة، ولا يقف تحليل ذلك على الضرورات لأنه لو وقف عليها لأدى ضعف العبد واستيلاء أهل الكفر والعناد على بلاد الإسلام.. ويقتصر على ما تمس إليه الحاجات دون أكل الطيبات وشرب المستلذات وشرب الناعمات
 - إذا سرق إنسان مالا سرقة موجبة لقطع اليد لم يجب عليه الإعلام أي الاعتراف بالسرقة، بل يخير مالك المسروق بأن له عليه مالا، ويرده إليه أو يعرضه عنه إذا كان قد تلف. ولا يتعرض لذكر السرقة. فإن رد السارق المال أو عوضه أبرأه منه المسروق فقد بريء السارق، وإلا وجب قطع يده فهو حد من حدود الله.
 - الوسائل تسقط بسقوط المقاصد. فلا يجوز ضرب الصبي للصلاة إذا لم يثمر الضرب. فهذا الضرب ينفره من الصلاة¹.

◆ في الحديث

١- "مختصر صحيح مسلم": وهو كتاب اختصر فيه صحيح مسلم.

٢- شجرة المعارف والأحوال وصالح الأقوال والأعمال:

وهو كتاب جامع للفضائل والأخلاق جمع فيه مؤلفه بين الآيات والأحاديث للاستشهاد على مواضعه بطريقة مبتكرة ومشوقة. يقول محققه الشيخ حسان منان عنه: "وهو كتاب فريد من نوعه للإمام الشيخ سلطان العلماء العز بن عبد السلام، وهو من عرف بدقته وعبارته، واجتهاداته واستنباطاته العلمية. ومن يطلع على الكتاب يجد أن مؤلفه لم يسر فيه طريقة معهودة في ذلك التصنيف الفقهي أو الحديثي؛ إذ ذاك أمر تقليدي يُحسنه أكثر المصنفين، أما هذا فهو ترتيب لم يُسبق إليه، اجتهاد فيه واستنبط من نصوصه ما أفاد في ذلك

¹ - (مقال على موقع www.gudsway.com) المقال كاملاً يذكر قصة حياة العز بن عبد السلام من كتاب بعنوان أئمة الفقه التسعة- لعبد الرحمن الشرفاوي - دار العصر الحديث للنشر والتوزيع- ١٩٨٥

التبويب. وهو أوسع مضموناً من كتاب "رياض الصالحين" وأكثر فائدة، وأقل حجماً، إذ تجد فيه أغلب الأبواب المصنف فيها في كتب المحدثين والفقهاء، وزاد عليها التبويب الأصولي، وزاد عليها الشرح والإفادة من النص"¹.

◆ في علوم التفسير

- قام الشيخ بتفسير القرآن العظيم في كتاب أسماه (تفسير القرآن العظيم). وكان هذا التفسير مأخوذاً من دروسه في المدرسة السلطانية بدمشق. وكان يفسر السور بظاهرها فمثلاً عندما فسر سورة العصر قال: "فالناس خاسرون إلا في اجتماع فيه أربع أوصاف: الإيمان، والعمل الصالح، والتواصي بالحق، والتواصي بالصبر".
- وتحدث في التفسير عن أنواع المجاز في القرآن من مجاز الحذف كحذف القسم أو المبتدأ أو الخبر أو بعض حروف الجر، ثم أنواع المجاز المعروفة في علوم البلاغة والبيان، ثم تحدث عن الكتابة في القرآن، وضرب لكل ذلك أمثلة بآيات القرآن مرتبة حسب المصحف. وضمن ذلك كتابه «الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز»².

◆ في علم التوحيد

سبق وأن ذكرنا بأن الشيخ كان أشعرياً.. وانتساب العز إلى المذهب الأشعري ظاهر في كتبه وتصنيفاته، ورسائله التي رد بها على مخالفيه، فمن ذلك:

1. تقريره بأن القرآن قديم أزلي قائم بذاته وأن القرآن الذي في المصحف هو دليل على كلام الله وليس هو كلام الله. يقول العز في عقيدته المشهورة التي نقلها السبكي في طبقاته: ((متكلم بكلام أزلي ليس بحرف ولا صوت... ثم تكلم عن المصحف والمداد... فقال: ويجب احترامها لدلالاتها على كلامه))³. ويقول: ((ومذهبنا أن كلام الله سبحانه قديم أزلي قائم بذاته)).
2. إنكاره لمسألة الحرف والصوت التي يثبتها أهل السنة لدلالة النصوص عليها، فهو يعتقد أن القرآن قديم أزلي قائم بذاته، وأنكر

¹ - مقدمة النسخة- ص ٥

² - المصدر السابق

³ - الطبقات للسبكي: (٢١٩/٨)

مسألة الحرف والصوت، وشنع على أهل السنة بسببها، يقول العز في عقيدته: ((والعجب ممن يقول: القرآن مركب من حرف وصوت))¹.

ومن الكتب التي ألفها في العقيدة وعلم الكلام:

١- رسائل في التوحيد.

٢- معنى الإيمان والإسلام.

٣- مقاصد الرعاية لحقوق الله عز وجل.

٤- بيان أحوال الناس يوم القيامة.

◆ في التصوّف والزهد

- ذكرنا في الفصل السابق كيف تأثر الشيخ بالصوفية في بداية حياته؛ ولذلك نجد أن للشيخ سبحات صوفية عديدة أودعها كتابه «حل الرموز ومفاتيح الكنوز». وقد عني فيها بشرح الغامض من أقوال شيوخ الزهد والتصوف:
- فمثلاً استشهد ببعض أقوال الإمام علي كرم الله وجهه وهو إمام الزاهدين: «سئل علي رضي الله عنه: هل عرفت الله بمحمد أو عرفت محمداً بالله؟ فأجاب: لو عرفت الله بمحمد لما عبدته، وكان محمد أوثق في نفسي من الله. ولو عرفت محمد بالله لم احتجت إلى رسول الله. ولكن عرفني نفسه بلا كيف كما شاء وبعث محمداً (صلى الله عليه وسلم) بتبليغ أحكام القرآن وبيان معضلات الإسلام والإيمان وإثبات الحجة وتقويم الناس على منهج الإخلاص فصدقت بما جاء به». وعلق الشيخ على هذا فقال: «يستحيل الوصول إلى شيء من معرفة الله بغير الله، ولا سبيل إلى معرفة الله إلا بالله».

- وقد ذهب بعض مؤرخي المتصوفة إلى أن العز تصوّف، ولكن التصوف يخالف طبيعة الشيخ عز الدين.. وهذا حق فقد كان بعض التصوف في عصر الشيخ هروبا من الواقع، وكان الشيخ من أشد الناس حسارة في مواجهة الواقع، وأنشطهم إلى تغييره.
- ومع كل ذلك ما كان يمكن للشيخ أن يتجاهل تياراً، يحتاج العصر ولكنه رد التصوف إلى أصوله النبيلة في مجاهدة النفس لتتطهر من الهوى فلا تمتلئ إلا بالحقيقة ونور الحق، وتناضل في سبيل الخير وتعمد الدنيا بالحب والعدل والجمال والحرية².

¹ - الطبقات للسيكي: (٢٢٤/٨) ويمكن الرجوع إلى رسالة (إيضاح الكلام فيما جرى للعز بن عبد السلام في مسألة الكلام)- لابنه: الشيخ محمد بن عبد اللطيف حكاية عن أبيه الإمام العز بن عبد السلام.

² - العز بن عبد السلام- أحمد تمام- مقال على موقع إسلام أون لاين على الانترنت

- لقد كان يعلم تلاميذه أن «الزهد ليس هو ما يفعله عامة الصوفية الذين يسيئون إلى التصوف: لا هو تعذيب النفس ولا لبس المرقعات. وليس الزهد هو خلو اليد من المال ولكن هو خلو القلب من التعليق بالمال. فليس الغنى بمناف لزهد. وقد كان عبد الله بن المبارك والليث بن سعد وهما من أغنى الأغنياء من أزهد الناس».
- وسمى التصوف علم الحقيقة وهي معرفة أحوال الباطن، والشريعة تستغرقه لأنها تتناول الظاهر والباطن جميعاً. وكان يقول:
«فكل حقيقة لا شريعة لها فهي عاطلة، وكل حقيقة لا شريعة لها فهي باطلة. وليست الحقيقة خارجة من الشريعة طافحة بإصلاح القلوب بالمعارف والأحوال. فمعرفة أحكام الظواهر معرف لجل الشرع ومعرفة أحكام البواطن معرفة لبعض الشرع ولا ينكر ذلك كافر أو فاجر.»
- وهكذا أحسن التوفيق والمزاوجة بين الأصول والشريعة والتصوف. وقال: «الشريعة مجاهدة والحقيقة مشاهدة ولا تباين بينهما إذ الطريق إلى الله سبحانه وتعالى بما ظاهر وباطن. فظاهرها الشريعة وباطنها الحقيقة.. والحقيقة والشريعة يجمعهما كلمتان هو قوله: (إياك نعبد وإياك نستعين) فإياك نعبد شريعة وإياك نستعين حقيقة.» وفرق بين الإسلام والإيمان والإحسان: «فالإسلام هو قيام البدن بوظائف الأحكام، والإيمان هو قيام القلب بوظائف الاستسلام، والإحسان أن تعبد الله كأنما تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك؛ فتكون قائماً بوظائف العبودية مع شهوده إياك»¹.

◆ موضوعات أخرى:

إضافة إلى ما سبق فقد كتب في مواضيع الجهاد والفتن والبلايا، لما كان منتشرًا في زمانه من الفتن، ولما مر بالمسلمين من البلاء، فكان يحث على الجهاد ويحرض على إزالة المنكرات والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن الكتب التي ألفها:

١- بداية السؤل في تفضيل الرسول.

٢- الفتن والبلايا واخن والرزايا.

٣- ترغيب أهل الإسلام في سكنى الشام.

٤- أحكام الجهاد وفضائله.

¹ - المصدر السابق

✓ مميزات كتابته وأسلوبه:

مما يلاحظ على الشيخ الجليل العز بن عبد السلام أنه على الرغم من كونه عاش في عصر غلبت فيه الصنعة على اللغة حتى أفقدتها رونقها وبهاءها إلا أنه استطاع أن يؤدي هذا الموضوع الصعب بعبارة عالية، فقد كان واضح الأسلوب صافي الكلام، مشرق البيان في كل ما عاجله من موضوعات، ندر أن تجد في كتابته سجعاً أو تنميقاً.

الفصل الرابع صفاته وجهاده

تمهيد:

إذا ذكر العز بن عبد السلام فإن أول ما يتبادر إلى الذهن هو لقبه الذي اشتهر به "بائع الأمراء". والسبب في ذلك أن أبرز الجوانب في شخصية هذا الإمام ما يتعلق بالشجاعة والجرأة التي كان يتميز بها في قول كلمة الحق، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

لقد كان العز بحق أحد العلماء العاملين الذين نذروا أنفسهم للحجر بكلمة الحق، وتحملوا في سبيل ذلك العنت الكبير، ولكنهم مع كل ذلك رفضوا أن يهادنوا أو يساوموا على موقفهم، وقد بذلت الدنيا أمامهم بكل ما فيها من جاه ومال وسلطان، إلا أن ذلك كله لم يعدل عندهم جناح بعوضة ليستحق أن يحولهم عما يعتقدون أنه الحق.

جهاد العز بن عبد السلام وقوته في الحق بالإضافة إلى صفاته الخُلُقِيَّة التي ميزته هي موضوع هذا الفصل الذي يتألف من المباحث التالية:

- المبحث الأول: جهاده وقوته في الحق
- المبحث الثاني: صفاته الخُلُقِيَّة
- المبحث الثالث: وفاته

المبحث الأول جهاده وقوته في الحق

لقد ظهرت شجاعة العز بن عبد السلام وقوته في الحق في مواقف كثيرة من حياته، فقد كان الشيخ من أشد الناس جسارة في مواجهة الواقع، وأنشطهم إلى تغييره. وظل يواجه عصره ويقاوم مفاسده ويصك المجتمع بمواقف رائعة، فلم يكن يخف أو يخضع لتهديد أو وعيد. ومن المواقف الدالة على شجاعته:

١ - صدامه مع الملك الصالح إسماعيل:

الموقف الأول الدال على شجاعته وقوته في الحق هو موقفه مع الملك الصالح إسماعيل حاكم دمشق عندما تحالف الأخير مع الصليبيين ضد ابن أخيه حاكم مصر، وسلم للصليبيين مدن المسلمين، وسمح لهم بشراء الأسلحة من دمشق. فأفتى العز بحرمة هذا البيع فقال: **"يحرم عليكم مبايعتهم لأنكم تتحققون أنهم يشترونه ليقاتلوا به إخوانكم المسلمين"**. فأمر الصالح باعتقاله وبعد أن غضب الناس وكثر الهرج والمرج أفرج عنه فذهب إلى بيت المقدس، وعندما سافر الصالح إسماعيل إلى القدس وعلم بوجود العز أرسل إليه أحد خواصه يطلب منه أن يصلحه. فلما اجتمع الرسول بالشيخ شرع في ملاينته ثم قال له: بينك وبين أن تعود إلى مناصبك وما كنت عليه وزيادة، أن تنكسر للسلطان وتقبل يده لا غير. فقال له العز: **"والله يا مسكين! ما أرضاه أن يقبل يدي فضلاً أن أقبل يده. يا قوم! أنتم في وادٍ، وأنا في وادٍ. والحمد لله الذي عافاني مما ابتلاكم به"**. فقال: إذن فقد أمر الملك باعتقالك. فقال: افعلوا ما بدالكم، فاعتقله في خيمة بجانب خيمة الملك. فبقي العز رهن الاعتقال راضياً بقضاء الله صابراً على ابتلائه، محتسباً للأجر شاعلاً وقته في قراءة القرآن الكريم وذكر الله حتى جاءت الجيوش المصرية فحررتة.

وهكذا امتحن العز فصر واحتسب ثم نصره الله بظهور الحق وذهاب الباطل وأرضاهم عنه لأن العز قد أسخطهم لرضا الله. ومن أسخط الناس لرضا الله رضي عنه وأرضى عنه الناس، ومن أسخط الله لرضا الناس سخط الله عليه وأسخط عليه الناس^١.

^١ - إيضاح الكلام فيما جرى للعز بن عبد السلام في مسألة الكلام- الشيخ محمد بن عبد اللطيف حكاية عن أبيه الإمام العز بن عبد السلام.

٢ - الموقف الثاني: بيعه لأمرء المماليك:

وهذا الموقف حدث في مصر بعد وصول العز إليها، وحينما تولى القضاء فيها إذ لاحظ أمراً مخالفاً للشرع؛ وهو أن المماليك الذين اشتراهم الملك نجم الدين ودفع ثمنهم من بيت مال المسلمين، واستعملهم في خدمته وجيشه، وفي تصريف أمور الدولة، يتصرفون بالبيع والشراء، وتصرفهم هذا باطل شرعاً لأن المملوك لا ينفذ تصرفه. فأخذ العز لا يمضي لهم بيعاً ولا شراءً. وقد ضايقهم ذلك وعطل مصالحهم، فراجعوه في ذلك فقال: لا بد من إصلاح أمركم بأن يعقد لكم مجلس فتباعوا فيه، ويرد ثمنكم إلى بيت مال المسلمين، ثم يحصل عتقكم بطريق شرعي فينفذ تصرفكم. فلما سمعوا هذا الحكم ازدادوا غيظاً وقالوا: كيف يبيعنا هذا الشيخ ونحن ملوك الأرض. ورفعوا الأمر للملك فغضب، وقال: هذا ليس من اختصاص الشيخ ولا شأن له به. فلما علم العز بذلك عزل نفسه عن القضاء وقرر الرحيل عن مصر لأنه لا يطبق فيها شرع الله. فحمل أمتعته على حمار وأهله على حمار واتجه إلى الشام فتبعه العلماء والصلحاء والتجار والنساء والصبيان، فصار الأمر أشبه بمظاهرة ضد الحكومة.

فبلغ السلطان الخبر، وقيل له: متى راح ذهب ملكك. فخرج الملك مسرعاً، ولحق بالعز وأدركه في الطريق وترضاه، وطلب منه أن يعود وينفذ حكم الله. وحاول نائب السلطنة وهو الرجل الثاني في الدولة أن يترضى الشيخ لعله يتراجع عن رأيه، ولكن الشيخ أصراً على تنفيذ حكم الشرع، وأمر بأن ينادى على الأمراء واحداً بعد واحد، ويغالي في ثمنهم حتى إذا ارتفع السعر إلى أقصى غايته وعجز المشترون قام السلطان الصالح أيوب بدفع الثمن من ماله الخاص إلى الشيخ الشجاع الذي أودع ثمنهم بيت مال المسلمين.

وهذا ما لم يسمع به عن أحد قبله ولا بعده رحمه الله تعالى ورضي عنه^١.

هذا الموقف العظيم قد خلد ذكر العز، وأقام مناراً للحق، وأخضع الملك والأمراء المتكبرين على الشعب لحكم الله، وحقق المساواة بين الناس، حيث يقف الحاكم والمحكوم سوياً عند شرع الله. لا شك أن العز يتقوا وزهده وورعه صار له من السلطان والقوة والمهابة ما يستطيع به أن يغير المنكر بيده، وبجابه المملوك بقول الحق ولا يخشى في الله لومة لائم. لذا نجد تلميذه ابن دقيق العيد قال عنه: **(إنه أحد سلاطين العلماء)**.

٣ - الموقف الثالث: قصته مع السلطان يوم العيد:

وهذا الموقف حدث مع السلطان يوم العيد، حين خرج السلطان في أمة الملك إلى القلعة، وحوله الأمراء يتشائمون، فواجهه الشيخ سلطانهم بما روع الأمراء وألقى الهيبة من الشيخ في قلوبهم. ويصف السبكي ذلك المشهد في طبقات الشافعية: «طلع شيخنا من عز الدين

^١ - ترجمة المؤلف - مقدمة كتابه شجرة المعارف والأحوال - ص ٩

مرة إلى السلطان في يوم عيد إلى القلعة، فشاهد العساكر مصطفين بين يديه ومجلس المملكة وما السلطان عليه يوم العيد من الأبهة، وقد خرج على قومه في زينة على عادة سلاطين الديار المصرية، وأخذت الأمراء تقبل الأرض بين يدي السلطان، فالتفت الشيخ إلى السلطان وناداه:

- «يا أيوب.. ما حجتك عند الله إذا قال لك ألم أبوى لك ملك مصر ثم تبيح الخمر؟»

- قال السلطان: «هل جرى ذلك؟»

- قال: «نعم الحانة الفلانية تبيع الخمر وغيرها من المنكرات وأنت تتقلب في نعمة هذه المملكة.»

وأخذ الشيخ يناديه كذلك بأعلى صوته والعساكر واقفون.

- فقال السلطان: «يا سيدي هذا أنا ما عملته. هذا من زمان أبي.»

- فقال الشيخ: «أنت من الذين يقولون إنا وجدنا آباءنا على أمة؟!»

فأمر السلطان بإغلاق الحانة.

وبعد أن انصرف سأله أحد تلاميذه عما فعله، فقال الشيخ:

- رأيت في تلك العظمة فأردت أن أهينه لكيلا تكبر نفسه فتؤذي.

- فقال التلميذ: أما خفته؟

- قال الشيخ: والله يا بني لقد استحضرت هيبة الله تعالى فصار السلطان أمامي كالقط.¹

لقد جدّد العز بن عبد السلام الإنكار العملي على السلاطين والأمراء، وكان ينكر عليهم علناً وأمام العامة لاسيما المنكر العلني، ولا يخاف في الله لومة لائم. فجدد العز بن عبد السلام هذا المهدي والسمت الذي كان معروفاً عند الصحابة والتابعين والأئمة المهديين، فكان ينكر على هؤلاء العلية من القوم وعلى السلاطين وغيرهم علانية، لأنه كان يدرك أن في الإنكار العلني، وقول كلمة الحق، والصدع بها، فوائد عديدة.

¹ - معالم الثقافة الإسلامية-عبد الكريم عثمان ص ٣٥٦

٤ - موقفه يوم معركة عين جالوت:

هذا الموقف كان عندما اتفق السلاطين المماليك واجتمعت كلمتهم، وقرروا الاستعداد لملاقاة التتار، وإيقاف زحف هذا الجيش الطاغى الكاسر بعد إسقاطه الخلافة العباسية وسيره باتجاه الشام ومصر. عند ذلك ظهرت لهم مشكلة أخرى، وهي عدم وجود الأموال الكافية لتجهيز الجيش، فاجتمع السلطان قطز بالعلماء وقال إنه يريد فرض الضرائب على الناس. فاعترض العلماء عليه، وأعلن العز بن عبد السلام أن على الأمير قبل أن يفرض الضرائب أن يخرج الحلبي التي في بيته وبيوت الأمراء وأن يضربها نقوداً فإذا لم تف الحاجة فليفرض الضرائب على الناس.

وكان للعز بن عبد السلام منزلة كبيرة عند المماليك، فامتثل قطز أمر العز، وكان هذا من توفيق الله لهما وللأمة.

٥ - موقفه من الظاهر بيبرس عند توليه الملك:

وتكرر الأمر الذي فعله مع أمراء المماليك من العز مرة أخرى عند بيعه الظاهر بيبرس، حين استدعى الأمراء والعلماء لبيعتة، وكان من بينهم الشيخ العز، الذي فاجأ الظاهر بيبرس والحاضرين بقوله: **"يا ركن الدين أنا أعرفك مملوك البندقدار - أي لا تصح بيعته؛ لأنه ليس أهلاً للتصرف"**. فما كان من الظاهر بيبرس إلا أن أحضر ما يثبت أن البندقدار قد وهبه للملك الصالح أيوب الذي أعتقه، وهنا تقدّم الشيخ فبايع بيبرس على الملك.

لقد كان الظاهر بيبرس على شدته وهيبته يعظم الشيخ العز ويحترمه، ويعرف مقداره، ويقف عند أقواله وفتاواه، ويعبر السيوطي عن ذلك بقوله: **"وكان بمصر منقماً، تحت كلمة الشيخ عز الدين بن عبد السلام، لا يستطيع أن يخرج عن أمره حتى إنه قال لما مات الشيخ: ما استقر ملكي إلا الآن"**¹.

¹ - طبقات الحفاظ- السيوطي

المبحث الثاني صفاته الخُلقية

إن صفات العز الخُلقية كثيرة، وهي في مجملها تدل على تمتعه بأحلى الصفات، وأجمل الخصال، وأنبيل المزايا، فمن صفاته:

١. الورع :

- أما ورعه فيظهر في مواقف عديدة من أشهرها ما يذكر أنه لما مرض مرض الموت أرسل له الملك الظاهر بيبرس وقال له: عين مناصبك لمن تريد من أولادك، فقال: ما فيهم من يصلح، وهذه المدرسة الصالحة تصلح للقاضي تاج الدين بن بنت الأعز أحد تلاميذه، ففوضت إليه^١.
- كما روي عنه عزله لنفسه من القضاء أكثر من مرة خوفاً من حمله الثقيل، وتبعاته العظيمة.

٢. الزهد :

كان العز من الزهاد حقاً وصدقاً، بل كان شديد الزهد، فلم يجمع من الدنيا إلا القليل، وإذا عرضت عليه أعرض عنها، وقصصه في ذلك كثيرة، منها:

- بعد أن انتهت محنته مع الملك الأشرف، أراد الملك أن يسترضيه، فقال: "والله لأجعله أغنى العلماء" ولكن العز لم يأبه لذلك، ولم ينتهز هذه الفرصة لمصالحه الشخصية، ولم يقبل درهماً من الملك، بل رفض الاجتماع به لأمر شخصية.
- ولما مرض الملك الأشرف مرض الموت وطلب الاجتماع به ليدعو له، ويقدم له النصيحة اعتبر العز ذلك قرينة لله تعالى، وقال: نعم، إن هذه العبادة لمن أفضل العبادات، لما فيها من النفع المتعدي إن شاء الله تعالى. وذهب ودعا للسلطان لما في صلاحه من صلاح المسلمين والإسلام، وأمره بإزالة المنكرات، وطلب منه الملك العفو والصفح عما جرى في الحنة، قائلاً: يا عز الدين، اجعلني في حل.. فقال الشيخ: أما محاللتك فإني كل ليلة أحالل الخلق، وأبيت وليس لي عند أحد مظلمة، وأرى أن يكون أجري على الله. وفي نهاية الجلسة أطلق له السلطان ألف دينار مصرية، فردها عليه، وقال: هذه اجتماعه لله لا أكدرها بشيء من الدنيا^٢.

1- شجرة المعارف والأحوال- العز بن عبد السلام- مقدمة المؤلف- ص ١٠

2- إيضاح الكلام فيما جرى للز بن عبد السلام في مسألة الكلام- الشيخ محمد بن عبد اللطيف حكاية عن أبيه الإمام العز بن عبد السلام.

- ولما استقال العز من القضاء عند فتواه ببيع الأمراء، ورفض السلطان لذلك، خرج من القاهرة، وكل أمتعه في الحياة، مع أسرته، حمل حمار واحد، مما يدل على قناعته بالقليل، وزهده في المال والمتاع.
- ومن ذلك ما ذكرته من عرض الظاهر ببيرس عليه أن يجعل أي أبنائه شاء خلفاً له في مناصبه بعد وفاته وإبائه لذلك، عندها قال له الظاهر: من أين يعيش ولدك؟ قال: من عند الله تعالى. قال: نجعل له راتباً؟ قال: هذا إليكم.
- والحقيقة أن ولد العز الشيخ عبد اللطيف كان عالماً فقيهاً، ويصلح للتدريس، ولكن ورع العز وزهده منعه من جعل منصب التدريس وراثاً لأولاده. قال الداودي: "وكان كل أحد يضرب به المثل في الزهد والعلم".¹

٣. الكرم والسخاء والبذل :

- وهي صفة تؤكد صفة الزهد فيه رحمه الله، فقد كان باسط اليد فيما يملك، يجود بماله على قلته طمعاً في الأجر والثواب.
- حكى قاضي القضاة بدر الدين بن جماعة رحمه الله، أن الشيخ لما كان بدمشق وقع مرة غلاء كبير حتى صارت البساتين تباع بالثمن القليل، فأعطته زوجته مصاعاً لها، وقالت: اشتر لنا به بستاناً نصيف به، فأخذ المصاع، وباعه، وتصدق بثمانه، فقالت: يا سيدي، أشتريت لنا؟ قال: نعم، بستاناً في الجنة، إني وجدت الناس في شدة فتصدقت بثمانه، فقالت له: جزاك الله خيراً.
- ولما جاء أستاذ الدار (الغرز خليل) برسالة الملك الأشرف بدمشق للشيخ العز بعزله عن الإفتاء، قال له: يا غرز من سعادتي لزومي لبيتي، وتفرغي لعبادة ربي، والسعيد من لزم بيته، وبكى على خطيئته، واشتغل بطاعة الله تعالى، وهذا تسليك من الحق، وهديّة من الله تعالى إلي، أجزاها على يد السلطان وهو غضبان، وأنا بما فرحان، والله يا غرز لو كانت عندي خلعة تصلح لك على هذه الرسالة المتضمنة لهذه البشارة خلعت عليك، ونحن على الفتح، خذ هذه السجادة صل عليها، فقبلها وقبلها، وودعه وانصرف إلى السلطان، وذكر له ما جرى بينه وبينه. فقال لمن حضره: قولوا لي ما أفعل به، هذا رجل يرى العقوبة نعمة، وتركوه، بيننا وبينه الله².
- قال ابن السبكي: "وحكي أنه كان مع فقره كثير الصدقات، وأنه ربما قطع من عمامته، وأعطى فقيراً يسأله إذا لم يجد معه غير عمامته".

٤. الهيبة :

- كان العز رحمه الله مهيباً في شخصيته، وكان يظهر أثر ذلك في دروسه وخطبه، وفي اجتماعه مع الناس، ومعاملته مع طلابه ومعاصريه، بل كانت هذه الهيبة تضي آثارها الجسيمة على المتجبرين والمتكبرين والمتعاليين والمتجرئين على الله والناس.

¹ - العز بن عبد السلام- موقع الدعوة والدعاة على الانترنت <http://www.islamdoor.com>

² - إيضاح الكلام فيما جرى للعز بن عبد السلام في مسألة الكلام- الشيخ محمد بن عبد اللطيف حكاية عن أبيه الإمام العز بن عبد السلام

- ومما يستشهد به لهذا الخلق قصته الشهيرة مع الأمراء الأتراك في مصر، الذين أفتى الشيخ بعدم صحة معاملاتهم ولا بيعهم ولا شرائهم ولا نكاحهم حتى يتم بيعهم وإعتاقهم، وعندما عظم الأمر عليهم، وحاولوا إثنائه عن حكمه، لم يتنازل وصمم ألا يصحح لهم بيعاً ولا شراءً ولا نكاحاً. وأصر على فتواه على الرغم من محاولات الملك بالتوسط لهم. حتى تم له ما أراد، ونادى على الأمراء واحداً واحداً، وغالى في ثمنهم، وقبضه، وصرفه في وجوه الخير، وهذا ما لم يسمع بمثله عن أحد، رحمه الله تعالى ورضي عنه¹.
- ومما يستشهد به كذلك لهيبته قصته مع نائب السلطنة المملوك- في نفس الحادثة السابقة- ذلك أن النائب أرسل إلى العز يحاول إقناعه بالرجوع عن حكمه عليهم بالملاطفة، فلم يفد فيه، فانزعج النائب، وحلف أن يضربه بالسيف. وعندما ركب بنفسه في جماعته، وجاء إلى بيت الشيخ والسيف مسلول في يده، لم يكثر الشيخ الجليل لذلك ولم يتغير. وعندما خرج كأنه قضاء الله قد نزل على نائب السلطنة، فحين وقع بصره على النائب يبست يد النائب، وسقط السيف منها، وأرعدت مفاصله، فبكى، وسأل الشيخ أن يدعو له. ثم نزل عند حكمه.
- ومما يذكر له في هذا الشأن كذلك أنه عندما عزل من مناصبه في دمشق وأمر أن يلزم بيته، استأجر بستاناً متطرفاً عن البساتين، وكان موحشاً، "واتفقت له فيه أعجوبة، وهو أن جماعة من المفسدين قصدوه في ليلة مقمرة، وهو في جوسق عال، ودخلوا البستان، واحتاطوا بالجوسق، فخاف أهله خوفاً شديداً، فعند ذلك نزل إليهم، وفتح باب الجوسق، وقال: أهلاً بضيوفنا، وأجلسهم في مقعد حسن، وكان مهيباً مقبول الصورة، فهابوه، وسخرهم الله له، وأخرج لهم من الجوسق ضيافة حسنة، فتناولوها، وطلبوا منه الدعاء، وعصم الله أهله وجماعته منهم بصدق نيته وكرم طويته، وانصرفوا عنه"².
- ولعل قصته مع الظاهر بيبرس والتي ذكرناها آنفاً من أكثر الشواهد على قوة الشيخ الجليل وهيئته؛ فقد كان الظاهر بيبرس على شدته وهيئته يعظم الشيخ العز ويحترمه، ويعرف مقداره، ويقف عند أقواله وفتاواه، ويعبر السيوطي عن ذلك بقوله: "وكان بمصر منقماً، تحت كلمة الشيخ عز الدين بن عبد السلام، لا يستطيع أن يخرج عن أمره حتى إنه قال لما مات الشيخ: ما استقر ملكي إلا الآن".

٥. التواضع :

- على الرغم من الهيبة التي حظي بها العز والتي كان يخشاه لأجلها السلاطين والأمراء، وعلى الرغم من المكانة الاجتماعية والعلمية، فقد كان الشيخ العز متواضع النفس مع نفسه ومع ربه ومع الناس جميعاً.
- ومما يذكر له في ذلك أن نائب السلطنة في مصر عندما جاءه حاملاً سيفه ليقتل العز لفتواه ببيع الأمراء المماليك قام لاستقباله،

¹ - ترجمة المؤلف من مقدمة كتابه (شجرة المعارف والأحوال) - ص 9

² - العز بن عبد السلام - بائع الملوك في ذكرى وفاته - أحمد تمام - مقال على موقع إسلام أون لاين على الانترنت

فاعترضه ابنه خشية عليه من القتل، فقال له: "يا ولدي، أبوك أقل من أن يقتل في سبيل الله".¹

- ومما يدل على تواضعه أنه عندما عُيِّن قاضي القضاة في دمشق، كان عليه أن يضع على رأسه أكبر عمامة في الدولة؛ عمامة قاضي القضاة، صاحب أكبر منصب ونفوذ.. الرجل الذي يلزم بأحكامه كل أولياء الأمر حتى السلطان نفسه! ورأى الشيخ عز الدين أن يتحلل من التقاليد، فطرح العمامة كبيرها وصغيرها، ووضع على رأسه طاقية من لباد مصر وهي غطاء الرأس الذي لا يستعمله إلا فقراء الناس في مصر والشام.
 - كما كان من قبل عندما عين خطيباً للجامع الأموي، قد طرح الرداء الأسود الذي ألف خطباء الجامع ارتدائه، وعدل عن صعود المنبر بالسيف وعن ترصيع الخطبة بالسجع.
 - والدليل على أنه كان يترك التكلف في لباسه، ما ذكره ابن السبكي في طبقاته بعد أن ذكر كثرة صدقاته وأنه قد يتصدق بعمامته: "وفي هذه الحكاية ما يدل على أنه كان يلبس العمامة، وبلغني أنه كان يلبس قُبَع لباد، وأنه كان يحضر المواكب السلطانية به، فكأنه كان يلبس تارة هذا، وتارة هذا، على حسب ما يتفق له من غير تكلف".
 - وقد سبق أنه خرج من مصر وكل متاعه حمل حمار مما يدل على تواضعه في معيشته، وتركه للتكلف فيها.
- هذه بعض صفات الشيخ الجليل، والظاهر أن ما لم يذكر عنه أكثر مما ذكر فجزاه الله خيراً ورحمه رحمة واسعة.

¹ -المصدر السابق

المبحث الثالث وفاته

طال العمر بالعز بن عبد السلام، فبلغ ثلاثة وثمانين عاماً قضى معظمها في جهاد كامل بالكلمة الحرة، والقلم الشجاع والرأي الثاقب، وحمل السلاح ضد الفرنجة والتتار؛ للمحافظة على حقوق الأمة حتى لقي ربه في القاهرة يوم السبت التاسع من جمادى الأولى من سنة ستمائة وستين. وكان يوماً مشهوداً، وجنازته حضرها العامُّ والخاصُّ من أهل القاهرة ومصر، ولم يتخلف أحد من أهل البلدين عن حضور الجنازة، ونزل السلطان الملك الظاهر إلى جنازته وصلى عليه في سوق الخيل وشيعه ركباً إلى الرقافة والعالم في صحبة الجنازة، ولولا ممالك السلطان ما وصل إلى التربة من كثرة الزحام.

ثم صَلَّى عليه صلاة الغائب في دمشق في الخامس عشر من جمادى الأولى، وكذلك في جميع ديار المسلمين وبلادها والبلاد الشامية في الفرات والبيرة والرحبة، ثم في المدينة المنورة ومكة شرفها الله تعالى، وكذلك في بلاد اليمن¹.

وحين استقر حثمان الشيخ آخر الدهر تحت سفح المقطم، وعاد السلطان الظاهر بيبرس إلى قصر ملكه تنفس الصعداء وقال:

«الآن استقر أمري في الملك لأن هذا الشيخ لو كان يقول للناس: اخرجوا عليه، لانتزعوا الملك مني»²

لقد صدق الظاهر بيبرس!

فقد كان الشيخ سلطاناً فوق السلاطين!. كان سلطان العلماء!

رحم الله الشيخ وأسكنه فسيح جناته، ورزقنا بعلماء ربانيين أمثاله يعلمون الناس الدين، ويأخذون على يد الظالم، لا يخشون في الله لومة لائم يبيعون دنياهم من أجل أحرارهم همهم رضا الله، يجمعون بين الاجتهاد والتعايش مع واقع الأمة والتصدي للظلم والظالمين.

¹ - شجرة المعارف والأحوال - العز بن عبد السلام - مقدمة المؤلف - ص ١٠

² - المصدر السابق

الخاتمة

النتائج:

والآن وبعد أن عشنا معاً فصول سيرة هذا العالم الفذّ المجاهد في رحلة شيقة ممتعة، انتابتنا مشاعر شتى، بين إعجاب بشخصية "سلطان العلماء"، وفرح بما أنجزه وخلفه للأمة من مواقف فذة، وبين حزن وتعاطف مع المسلمين في ذلك الوقت وهم يدافعون عن مقدساتهم وحرماهم، وبين شعور بذلك الزمان وكأنه اليوم.. وما أشبه الليلة بالبارحة.

من ينظر إلى حال الأمة في تلك الحقبة الزمنية يلحظ الشبه الكبير بينها وبين حالنا اليوم. لكن الفارق الوحيد بين زمنهم وزمننا هذا هم أولئك العلماء الربانيون أمثال العز الذين ظهروا وقاموا بواجبهم نحو أمرائهم وأمتهم؛ فجاهدوا بالكلمة قبل السيف، وكانوا ناصحين لأمرائهم عوناً لهم على الظالم، وأدوا الأمانة على وجهها، فكانوا مثلاً رائعاً وقدوة للأجيال من بعدهم.

فهل تعي الأمة اليوم أنها بحاجة إلى علماء أمثال العز بن عبد السلام، يفعلون فعله، فيخرجون بالأمة من أعنى الظروف التي تتعرض لها عبر التاريخ، وهل آن الأوان للأخذ بأسباب تخريج هذا النوع من الرجال، وليس ذلك بعسير، فالقرآن والسنة بين أيدينا، ومنهج النبي في التربية واضح لدينا؟

وفي خاتمة هذا البحث نلخص أهم النتائج، وهي:

١. أن العلماء هم حملة الشريعة، وورثة علم النبوة، هياهم الله لخدمة هذا الدين، فأفتوا أعمارهم في تحصيل علوم الكتاب والسنة، واجتهدوا في الاستقامة عليها، وخدموها رواية ودراية، وتصنيفاً وتدريساً، وناقحوا عن الشريعة الغراء. ومن هنا وجب بيان فضلهم وتخليد ذكرهم، ونشر سيرهم وتيسير الاستفادة منها، وأخذ العبر والفوائد من تراجمهم والسعي في تخريج أمثالهم لتحافظ الأمة على مكانتها وحيويتها وهبتها.
٢. أن العز بن عبد السلام هو أحد كبار مشاهير الأمة من العلماء العاملين النجباء، وساداتها الفضلاء الأتقياء الذين نذروا أنفسهم للحجر بكلمة الحق، وتحملوا في سبيل ذلك العنت الكبير، ولكنهم مع كل ما أصابهم رفضوا أن يساوموا على موقفهم، وقد بذلت أممهم الدنيا بكل ما فيها من جاه ومال وسلطان إلا أن ذلك لم يعدل عندهم جناح بعوضة ليستحق أن يحوهم عما يعتقدون أنه الحق.
٣. وُلد الإمام الشيخ العز بن عبد السلام في دمشق عام ٥٧٨ هـ، وعاش في الشام، ثم انتقل إلى مصر، حيث توفي سنة ٦٦٠ هـ. ولم يطلب العلم صغيراً مثل أقرانه لرقه حاله، وإنما ابتدأ العلم في سن متأخرة، وانتظم في التزام حلقات الدرس وأكب على العلم بشغف ونهم وهمة عالية، فحصل في سنوات قليلة ما يعجز أقرانه عن تحصيله في سنوات طويلة. ورزقه الله الفهم العميق والذكاء الخارق فأعانه ذلك على إتقان

الفقه والأصول، ودراسة التفسير وعلوم القرآن وتلقي الحديث وعلومه، وتحصيل اللغة والأدب والنحو والبلاغة، فأصبح من علماء عصره حتى لقب (بسلطان العلماء). وبلغ مرتبة عالية في الفقه والأصول، والفهم الشامل لحقائق الشريعة الإسلامية ومقاصدها حتى وصل مرتبة الاجتهاد.

٤. كانت دمشق منذ العصر الأموي حاضرة من حواضر العلم تزخر بالعلماء وتموج فيها الحركة العلمية، ويقصدها العلماء من الشرق والغرب وخرجت مجموعة من العلماء الأفاضل، وكان الناس يقصدونها من أقاصي الأرض لتلقي العلوم فيها، ولا عجب فقد كانت عاصمة للخلافة الإسلامية قرناً من الزمان.

٥. بعد أن أنهى العز دراسته اتجه إلى التدريس وإلقاء الدروس في مساجد دمشق وفي بيته، وفي المدارس التي كانت تتعدها الدولة، مثل: المدرسة الشبلية، والمدرسة الغزالية بدمشق، وكان في الشيخ حب للدعابة وميل إلى إيراد الملح والنوادر يلطف بها درسه وينشط تلاميذه الذين أعجبوا بطريقته، ويعلمه السيال وأفكاره المتدفقة وأسلوبه البارع، وسرعان ما طار صيت العز، وطبقت شهرته الآفاق، وقصده الطلبة من كل مكان.

٦. بقي العز في مناصبه في دمشق يدرس ويخطب ويقضي إلى أن دبّ الخلاف بينه وبين حاكم دمشق السلطان الصالح إسماعيل الذي تحالف مع الصليبيين ضد ابن أخيه، مما جعل العز يغادر دمشق ويتجه إلى مصر بسبب عزله عن مناصبه وعدم الاستجابة لفتاواه التي تحرم التعامل مع الكفار الفرنجية ضد المسلمين.

٧. من يقرأ سيرة هذا الرجل العظيم يلحظ صفات رائعة قلما تجتمع إلا في رجل عظيم مثله؛ فقد اشتهر بالكرم والبذل والسخاء، والورع والتواضع والزهد في الدنيا على الرغم من مكانته عند الحكام والسلاطين. ولعل أهم صفة فيه هي جرأته النادرة في الحق وشدته على المبطلين، والتي ظهرت في مواقف كثيرة رائعة أمام سلاطين عصره.

٨. لم يكن العز بن عبد السلام عالماً منعزلاً في مسجده مشتغلاً بالتدريس والتأليف والخطابة فقط بعيداً عن الواقع، وإنما كان عالماً متعايشاً مع الواقع بكل مشاكله، فقد فهم واجب العالم في أوقات الشدة والبأس، وأيقن أن دور العالم لا يقل عن دور الأمير والجندي في صد المعتدين، وذلك بإذكاء الجهاد في نفوس المسلمين. ومن أبرز نشاطاته قيادة الدعوة لمواجهة الغزو المغولي التتري، ووقوفه إلى جانب الحكام الذين قادوا المقاومة والحرب الدفاعية ضد الغزاة - ووقوفه خاصة بجانب السلطان قطز (المملوكي) الذي كان قائد قوات السلطان عز الدين أيبك.

٩. لقد ذهب بعض مؤرخي المتصوفة إلى أن العز تصوف، ولكن التصوف يخالف طبيعة الشيخ عز الدين؛ فقد كان بعض التصوف في عصر الشيخ هروبا من الواقع، وكان الشيخ من أشد الناس حسارة في مواجهة الواقع، وأنشطهم إلى تغييره. فقد ظل يواجه عصره ويقاوم مفسده ويصك المجتمع بمواقف رائعة، وكان إلى كل ذلك زاهداً من أولئك الزهاد العظام الذين يفرضون بالقول والموقف والسيرة قيماً شريفة فاضلة على مجتمع تمتهن فيه الفضائل ويشقى به الشرفاء!

١٠. لقد أبلغ العلماء بعد العز بن عبد السلام في مدحه والثناء عليه، وذكر مآثره بما هو أهله، لعل هذا من علامات حب الله تعالى له وقبوله عنده؛ فإن الله إذا أحب عبداً جعل له القبول في الأرض.

١١. طال العمر بالعز بن عبد السلام، فبلغ ثلاثة وثمانين عاماً قضى معظمها في جهاد دائم بالكلمة الحرة، والقلم الشجاع، والرأي الثاقب، وحمل السلاح ضد الفرنجية؛ للمحافظة على حقوق الأمة حتى لقي ربه.

إنه حقا أحد سلاطين العلماء رحمه الله وجعل الفردوس الأعلى مثواه، ورزق المسلمين بعلماء ربانيين أمثاله لا يخشون في الله لومة لائم يبيعون دنياهم من أجل أخراهم همهم رضا الله ونفع المسلمين.
وصلى الله على سيدنا محمد وسلم تسليماً كثيراً. سبحان ربك رب العزة عما يصفون. وسلام على المرسلين.

والحمد لله رب العالمين.

تم بعون الله في يوم الثلاثاء ٢٤/جمادى الأولى/١٤٢٧هـ

٢٠/ يونيو/ ٢٠٠٦م

فهرس المراجع

الكتب:

- ١- القرآن الكريم
- ٢- الآمدي (علي بن محمد)
- الإحكام في أصول الأحكام- دار الصميعي- ط١- ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م
- ٣- الجهني (مانع بن حماد)
- الموسوعة العالمية للمذاهب والأديان المعاصرة- دار الندوة العالمية للشباب الإسلامي للطباعة والنشر ط٤- ١٤٢٠هـ
- ٤- الذهبي (الحافظ محمد بن أحمد الذهبي)
- سير أعلام النبلاء- المكتبة التوقيفية- القاهرة- ط١
- ٥- الرازي (محمد بن أبي بكر بن عبد القادر)
- مختار الصحاح- دائرة المعاجم في مكتبة لبنان- مكتبة لبنان- بيروت - طبعة ثانية -١٩٩٩م
- ٦- زيدان (عبد الكريم)
- أصول الدعوة- مؤسسة الرسالة- بيروت- لبنان، مكتبة القدس- بغداد- العراق - ط٢- ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م
- ٧- شاكر (محمود)
- التاريخ الإسلامي- المكتب الإسلامي- ط٤- ١٤١١هـ- ١٩٩١م
- ٨- عثمان (عبد الكريم)
- معالم الثقافة الإسلامية- مؤسسة الأنوار- الرياض - المملكة العربية السعودية- ط٧- ١٤١٦هـ- ١٩٩٥م
- ٩- العز بن عبد السلام السلمي
- شجرة المعارف والأحوال وصالح الأقوال والأعمال- اعتنى به: حسان بن عبد المنان- بيت الأفكار الدولية- عمان - الأردن
- ١٠- العسقلاني (ابن حجر)
- فتح الباري في شرح صحيح البخاري- المكتبة العصرية- بيروت، ط١- ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م
- ١١- كتاب التاريخ الإسلامي- للصف الثاني المتوسط
- وزارة التربية والتعليم- المملكة العربية السعودية- ط٢٠٠٥م - ٢٠٠٦م

١٢- ابن كثير

تفسير القرآن العظيم- مكتبة المعارف- بيروت- ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م

١٣- ابن كثير

البداية والنهاية- دار الحديث- القاهرة- ط٦- ٢٠٠٢م- ١٤٢٣هـ

١٤- المبار كفوري (الحافظ أبي العلام محمد بن عبد الرحمن)

تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذى- دار الحديث في القاهرة- ط١- ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م

١٥- المنجد في اللغة والأعلام

دار المشرق - بيروت، ط ٣٨- ٢٠٠٠م

١٦- ابن منظور

لسان العرب - دار صادر - بيروت. ط ٣ - ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٤م

١٧- النووي (الإمام محيي الدين)

المنهاج شرح صحيح مسلم- دار المعرفة- بيروت ، ط٢- ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م

المقالات على شبكة الانترنت:

١- العز بن عبد السلام الفقيه

من موقع ويكيبيديا على الانترنت، الموسوعة الحرة- www.ar.wikipedia.org

٢- العز بن عبد السلام- بائع الملوك في ذكرى وفاته-(١٠ جمادى الأولى - ٦٦٠)

أحمد تمام- مقال على موقع www.islamonline.com على الانترنت

٣- العز بن عبد السلام-

مقال على موقع <http://www.islamdoor.com/k/350.htm> على الانترنت

٤- العز بن عبد السلام-

أبو الخير محمد حبو حبيب- مقال على الانترنت - نقلاً عن كتاب طبقات الشافعية للسبكي - على موقع

<http://www.forsan.net/tarefat/salezbinadbalsalam.htm>

٥- مؤلفات العز بن عبد السلام

موقع دار الفكر على الانترنت - www.fikr.com

٦- إيضاح الكلام فيما جرى للعز بن عبد السلام في مسألة الكلام

بقلم: الشيخ محمد بن عبد اللطيف حكاية عن أبيه الإمام عز الدين بن عبد السلام- طبعت على الانترنت من نسخة (الشيخ محمد زاهد الكوثري)- طبعتها على الانترنت جلال علي.

٧- الانتصار على التتار (دراسة تربط ماضي الأمة بحاضرها)-

مقال على موقع <http://www.hiddenworlds.info/tatar.htm> على الانترنت

٨- العز عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام سلطان العلماء-

مقال من كتاب أئمة الفقه التسعة- عبد الرحمن الشرقاوي — العصر الحديث للنشر والتوزيع ١٩٨٥ - عن موقع طريق القدس

على الانترنت <http://www.qudsway.com/Links/Islamyiat>

٩- حقيقة العز بن عبد السلام وموقف شيخ الإسلام ابن تيمية منه-

خالد بن ضحوي الظفيري- مقال على موقع السنة على الانترنت www.sunnah.com

١٠- الرد على مَنْ أنكر عليَّ تسمية العز بن عبد السلام بالإمام

للكتاب: إحسان بن محمد بن عايش العتيبي - مقال على موقع الصيد على الانترنت

<http://saaid.net/Doat/ehsan/92.htm>

الفهرس

٢	هذا الرجل
٣	مقدمة
٦	الفصل الأول
٦	الدولة الإسلامية في عصر
٦	العز بن عبد السلام
٧	المبحث الأول
٧	الحالة السياسية للدولة الإسلامية في القرن السادس والسابع الهجري
٧	أولاً) ضعف الخلافة العباسية :
٧	ثانياً) الحروب والخلافات الداخلية:
٨	ثالثاً) التوتر بين السنة والشيعة :
٨	رابعاً) الأعداء من خارج الدولة الإسلامية :
٩	المبحث الثاني
٩	الإمارات الإسلامية التي عاصرها العز بن عبد السلام
١٠	أولاً: دولة الأيوبيين (٥٦٩هـ - ٦٤٨هـ):
١٠	ثانياً: دولة المماليك (٦٤٨هـ - ٩٢٣هـ):
١٢	الفصل الثاني
١٢	العز بن عبد السلام
١٢	(في مرحلة النشأة والطلب)
١٣	المبحث الأول
١٣	أصله ومولده ونشأته
١٣	أولاً: أصله ونسبه :
١٣	ثانياً: شهرته وألقابه:
١٣	ثالثاً: مولده:
١٣	رابعاً: نشأته:
١٤	خامساً: بداية طلبه للعلم:
١٥	المبحث الثاني

- ١٥ تكوينه العلمي والتربوي
- ١٥ أولاً: طلبه للعلم في دمشق:
- ١٦ ثانياً: انتقاله إلى بغداد:
- ١٦ ثالثاً: عودته إلى دمشق وتأثره بالصوفية:
- ١٦ رابعاً: نهايته وذكاؤه:
- ١٧ خامساً: أشهر شيوخه:
- ١٨ سادساً: أشهر العلوم التي برع فيها:
- ١٩ المبحث الثالث
- ١٩ عقيدته ومذهبه الفقهي
- ١٩ أولاً: مذهبه الفقهي:
- ١٩ ثانياً: عقيدته:
- ٢٠ ١ - العز بن عبد السلام أشعري العقيدة:
- ٢٠ ٢ - العز بن عبد السلام والصوفية:
- ٢٣ الفصل الثالث
- ٢٣ العز بن عبد السلام
- ٢٣ (في مرحلة التدريس والعطاء)
- ٢٤ المبحث الأول
- ٢٤ الوظائف التي شغلها العز بن عبد السلام في الشام
- ٢٤ أولاً: اشتغاله بالتدريس:
- ٢٤ ثانياً: اشتغاله بالخطابة في الجامع الأموي:
- ٢٥ ثالثاً: خلفه مع السلطان الصالح إسماعيل ومغادرته دمشق:
- ٢٦ رابعاً: العز في بيت المقدس:
- ٢٦ خامساً: تلاميذه:
- ٢٧ المبحث الثاني
- ٢٧ العز بن عبد السلام في مصر
- ٢٧ أولاً: الوظائف التي اشتغلها في القاهرة في عصر الأيوبيين:
- ٢٧ ثانياً: بيعه للأمرء:
- ٢٨ ثالثاً: اشتغاله بالتدريس ثانية:
- ٢٩ رابعاً: مع الظاهر بيبرس:
- ٣٠ المبحث الثالث
- ٣٠ مؤلفاته وجهوده العلمية
- ٣٧ الفصل الرابع

٣٧.....	صفاته وجهاده
٣٨.....	المبحث الأول.....
٣٨.....	جهاده وقوته في الحق.....
٤٢.....	المبحث الثاني.....
٤٢.....	صفاته الخلقية.....
٤٦.....	المبحث الثالث.....
٤٦.....	وفاته.....
٤٧.....	الخاتمة.....
٥٠.....	فهرس المراجع.....
٥٣.....	الفهرس.....